

الدراسة التاريخية

— ١ —

في أوائل القرن التاسع عشر، اكتشف مخطوط تركي يعرف « بالمحيط »، كان « شلي »، أمير البحر للقوات البحرية السلطانية قد كتبه في أحمد آباد سنة ١٥٥٤ م. وقد أوضح البحث أن سيدى على شلي* الشهير « بكتاب روى » (١) كان يرأس الحملة التركية التي أرسلت إلى المحيط الهندي لوقف التوسع البرتغالي هناك. وكانت الإمبراطورية العثمانية المسيطرة آنذاك على مصر والجزيرة العربية والجنوب الموصل إلى إيران شديدة الاهتمام بإحراز سبق في اكتشاف المياه الشمالية للمحيط الهندي ودراسة الطرق المؤدية إليه. وبعد سقوط الخلافة كانت تعتبر نفسها الوارث الشرعى للسلطة على هذه الأجزاء، وكان « بيرى ريس » — وهو من أقارب « كال ريس »، قائد البحرية في البحر المتوسط الذى وضع في غاليلول سنة ١٥١٣ خريطة لنصف الكرة الأرضية (٢) يحمل لقب « أمير البحار العربية »، وهذه التسمية الرنانة تعبر بصراحة عن الرغبة الحقيقية في الوصول إلى هذا الهدف. وكان التغلغل البرتغالي في الشرق يتسع بظهور الحملات الجديدة من وراء

* هو سيدى على ريس (غلطة لى) وهو من مشاهير البحارة والادباء والرياضيين العثمانيين وهو أصلاً من « سينوب » وهو ابن حسين ريس أمير ترسانة « غلطة لى ». كان ملاحاً أباً عن جد وقد ساهم في الأسفار البحرية لبارباروس خير الدين باشا. واطلع وجرب أحوال وأهوال البحر وكانت له يد طويلة في فنونه. اسمه القلمى « كاتى ». عين أميراً للبحر بعد وفاة بيرى ريس. وجال في بحر عمان والمحيط الهندي إلى أن عاد سنة ٩٧٠ هـ إلى استانبول وتوفي في ديار بكر في هذه السنة. واثرة المسمى بالمحيط كتب سنة ٩٦٢ هـ في أحمد آباد بالهند ويوجد في مكتبته « روان أو طه سى » (تعرف الآن باسم روان كسك) في استانبول وترجم بمعرفة « همبر (بورجستال) » وطبع في فيينا. ويحتوى في مقدمته على قواعد علم الهيئة ثم يذكر في آخر الكتاب أحوال المحيط الهندي والبحر الأحمر وخليج عدن وخليج فارس وبحر عمان. وله أيضاً كتاب باسم « مرآة الممالك » وهو مذكرات رحلاته طيلة أربع سنين وطبع في مطبعة « اقدام » باستانبول وله أيضاً كتاب « مرآة الكائنات » في علم الهيئة وقد ترجم كتاب « على فوشجى » في الهيئة وسماه « خلاصة الهيئة ».

نقلنا عن : محمد الطاهر البروسوى : عثمانلى مؤلفلى ج ٣ ص ٢٧١/٢٧٠ وقد ترجم هذا النص عن التركية الأستاذ نصر الله مبشر الطرازى بدار الكتب المصرية وأمله لترجم الكتاب .

رأس الرجاء الصالح . وكانت العوامل الجديدة التي ظهرت في وسط شرق المحيط الهندي سببا في إزعاج القصر الإستانبولي . فتعقد السلطة والسيطرة على المحيط ، وتزايد النهم الاستعماري للفرنجة بتعمقهم في التقدم واكتشافهم مصادر الثروة في الشرق ، وتوقع توجيه ضربة إلى الشرق من المحيط ، كل هذه العوامل استدعت إرسال حملة « شلي » ، لدرء هذا الخطر . ولكن بعد معركتين خاسرتين مع البرتغاليين وقعت السفن التركية التسع في عاصفة مدة خمسة أيام وبعدها وجد من نجا من طاقها وعلى رأسهم أمير البحر نفسه « ملقين على شاطئ الجوزرات على البر الغربي للهند . وفي خلال الثلاث سنوات التي أمضاها شلي هناك استطاع أن يجمع من الملاحين العرب والفرس والترك والبرتغاليين معلومات شفوية وتحريرية عن أحوال وظروف الإبحار في المحيط الهندي ودرسها بدقة ونتيجة لهذا جمع دليلا فريداً عن هذا الخوض للأغراض العملية للبحرية السلطانية وأسماء « بالمحيط » .

ومن المحتمل أن الكارثة التي أصابته كانت الدافع الرئيسي لوضعه هذه الموسوعة التي قال عنها المؤلف إن من أهم أغراضها درء وتجنب كوارث السفن في المستقبل . وفي بداية عام ١٥٥٧م ، رجع شلي إلى وطنه عن طريق البر عبر شمال الهند وبداخشان وخوارزم وفارس . ثم توفي سنة ١٥٦٢م وكان يعمل آنذاك دفتر دارا في ديار بكر .

ومنذ سنة ١٨٣٤م حتى سنة ١٨٣٩م أصدر العالم الفيني « هامبر بورجشتال » في ترجمة إنجليزية سلسلة مختارات أو مقتطفات من المحيط (٣) . وفي عام ١٨٤٨ اكتشف « رينو » ، كبير مستشرق أوروبا الغربية في ذلك الوقت مقطوعات أخرى من المحيط في المقدمة الجغرافية « جهان نامه » ، لحاجي خليفة . وأوضح أن الآثار العربية الموجودة في عمل شلي عبارة عن عشر طرق بحرية للسفن — ثلاثة قديمة وسبعة أكثر حداثة . وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان التقدم الذي تلا ذلك في دراسة المحيط يرجع إلى بونللي (٤) وبيتتر (٥) وتوماشيك (٦) .

ولكن بعد مرور حوالي ثلاثة أرباع قرن من تقريظ «رينو» عن المصادر العربية المحيط لم يتمكن «جبريل فيران» G. Ferrand ، — الباحث الفرنسي المشهور للوثائق الشرقية عن المحيط الهندي — إلا من ذكر أسماء ولقي هذه المصادر . وفي مرجعه الضخم عن أخبار العرب والفرس والتürk عن الشرق الأقصى مدة ألف سنة (٧) ، توجد إشارة إلى أن الثلاث مقالات القديمة ترجع إلى الليث بن كهلان ومحمد بن شاذان وسهل بن أبان . وثلاثهم لم يكن يعرف عنهم أية معلومات . أما السبع مقالات الحديثة فترجع ست منها إلى سليمان بن أحمد بن الشحر في الجنوب العربي والسابعة ترجع إلى أحمد بن ماجد من جلفار في عمان (٨) . وكانت هذه الأسماء آنذاك ترد بالصدفة ولم تجد لنفسها مكانا بين أسماء المؤلفين المعروفين منذ أكثر من خمسين عاما الذين يتمتعون بشهرة كبيرة . ولكن فيران في فترة انشغاله باكتشافات من الدرجة الأولى من الأهمية سنة ١٩١٢ ، وفي أثناء بحثه عن بعض المواد لكتاباته ، اكتشف هو وجود فروادى موميني ، مخطوطين عربيين في المكتبة القومية الفرنسية تحت رقم ٢٣٩٢ ، ٢٥٥٩ (٩) .

والمخطوط الأول يتكون من ١٨١ ورقة تحتوي على تسع عشرة منظومة لوصف الطرق البحرية لابن ماجد وغالبا ما تكون منظومة على بحر الرجز (ومن هنا أتت التسمية أرجوزة) . وتشرح هذه الأراجيز مختلف طرق الإبحار في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي . ويحتوي أيضا على إشارة صريحة إلى عشرة أعمال أخرى لنفس المؤلف . والمخطوط نفسه وهو الذي يحمل رقم ٢٣٩٢ لا توجد به إلا ثلاث مقالات مؤرخة هي المقالة الأولى والثانية والسادسة . أما بقية المقالات أو الأراجيز فلا تحمل أى تاريخ . إلا أن المجموعة كلها تحمل التاريخ ١٥٧٦ . وكان «فيران» قد اعتبر هذا المخطوط نسخة فريدة من أصل غير معروف ولكن بعد عشر سنوات تبين له من مقالة نشرها مجمع اللغة العربية أنه توجد في دمشق نسخة أخرى مماثلة

أما المخطوط الثاني الذى يحمل رقم ٢٥٥٩ فيتكون من ١٨٧ ورقة تحتوى على خمسة مؤلفات شعرية أخرى لابن ماجد منها اثنان مكرران فى المخطوط الأول رقم ٢٢٩٢. وما يوجد بها من أثر، مصاغ على نسق المؤلفات عن الطرق البحرية لمعاصره الأصغر سليمان الشحرى الذى يعرف حالياً بسليمان المهرى .

ولم يبدأ فيران فى التعرف على محتوى هاتين المجموعتين إلا فى عام سنة ١٩١٤م . وحتى ذلك الوقت لم يكن هذان المخطوطان معروفين لا فى التراث العربى ولا فى العِلْم الأوروبى . وكلاهما كان نسخة وحيدة . ومن هنا تطلبنا بحثاً طويلاً معقداً . وكل ما كان معروفاً لدينا آنذاك أن أحمد بن ماجد ربان سفينة ولاشئ أكثر من هذا (١٠) . واستطاع « فيران » أن يصرح بأن « محيط » أمير البحر التركى ليس فى مجموعه إلا ترجمة أحياناً ما تكون نقلاً حرفياً عن هذين المخطوطين العربيين (١١) .

وقد رجع فيران ثانية (١٢) إلى هذا التصريح الذى هز من مكانة شلبي وأعماله التى كانت قد استتبت فى العلم . وكانت الأعوام التالية لعام ١٩١٤ مشحونة بالدراسات العميقة للمخطوطين . وفى سنة ١٩٢٢ (١٣) ظهرت مقالة تتضمن المعلومات الأولية عن نتائج هذه الدراسات . وفى العام التالى ظهر المخطوط الأول متضمناً صورة طبق الأصل من هذه النسخة (١٤) . ولم يترك المؤلف الثانى (١٥) . فقد تمكن « فيران » بفضل المعلومات التى حصل عليها أثناء البحث من التحدث بوضوح عن سؤال هام يتعلق بالتأثير الإيرانى فى المؤلفات البحرية العربية (١٦) . وبفضل مقالاته عن ابن ماجد فى « دائرة المعارف الإسلامية » (١٧) . أمكن لهذا الاسم أن يدخل نظرياً إلى مجال العلم العالمى المعاصر ، وكذلك بطبع كتاب « المدخل إلى الفلك البحرى عند العرب » (١٨) تأليف فيران (١٩) بالاشتراك مع ل . دى سوسور (٢٠) . ثبت ذلك الدور المهم للحضارة العربية التى لا يجادلهم فيه أحد .

يوجد فى تعداد المخطوطات القيمة لقسم معهد الدراسات الشرقية التابع
للمجمع العلمى السوفيق فى لينتجراد مخطوط مقاسه ١٣ x ٢٠ سم بجلد أحمر
شرقى الطابع به رسومات ويحيط به رباط . ويحتوى هذا المخطوط (٢١)
على سبع مؤلفات عن موضوعات مختلفة (٢٢) ترجع إلى مؤلفين مختلفين
وعلى حسب الرمز القديم والرمز الجديد الموجود على الصفحة الداخلية
للغلاف فإن هذا المخطوط كان ضمن المخطوطات القيمة للمتحف الآسيوى
ومنه انتقل إلى مخطوطات معهد الدراسات الشرقية للمجمع العلمى . وفى
المتحف الآسيوى كان هذا المخطوط ضمن الجزء المخصص للمخطوطات
التي وصلت قديما وكان يحفظ معها . وحقيقة اسمه هى التي تدل على هذا :
ففى أغسطس سنة ١٨١٩ بعد عام واحد من عمل المتحف الآسيوى
ظهر فى الفهرس الخطى لفرين (٢٣) مؤسس المتحف وأول مدير له .
واعتبر المخطوط كله مجموعة تدرج تحت رقم واحد هو ٨٠٤ ؛ أما تأليف
موضوعاته فيتميز بأرقام فى الداخل وفى منتصف الوصف فى صفحة
٢١٦ - ٢١٧ يقول :

رقم « ٤ » ، سفالية ، رجز شهاب الدين أحمد بن ماجد (٢٤) .

أرجوزة :

الحمد لله الذى أنشأ الملا من عدم جل تعالى وعلا
واعبد لها بالحزم والصلاة على النهى (٢٥) اتخذ وصاتى

ورقم « ٥ »

عزمت والعزم حميد فى السفر لا سيما من بلدة فيها ضرر
نيا سيما فوق البراق لربه نبي الهدى المدفون فى أرض طيبتى (٢٦)

وهنا يعتبر الالتباس الرئيسى أنه تحت رقم « ٥ » وصف مؤلفين مرة
واحدة ، على الرغم من أنهما لنفس المؤلف ومرتبطان بالمضمون العام . ومع

التسرع الأولى للتعرف بالمخطوط لم يلاحظ واضع الفهرس وجود مقالة
ثالثة لها موضوع مستقل بل اعتبرها كخلاصة للجزء الثانى .

وهذا واضح من أن فرين اعتبر أن الجزء الثانى يحتوى تسع ورقات ولكن
عند العد بطريقة (٢٧) نجد أنه يحتوى على سبع ورقات فقط من ص ٩٧
إلى ١٠٤ أما الورقتان الأخيرتان ١٠٤ ، ١٠٥ فهما عبارة عن المقالة الثالثة .
وإذا كان هذا الإغفال لمقالة كاملة قد ترتب عليه تحويل المؤلفات الثلاثة
إلى اثنين فإنه من الممتع أن نلاحظ أن هذا التحويل كان كاملا تماما لدى
ناسخ المخطوط لدرجة الاحتفاظ به كوحدة مستقلة . وتعتبر المؤلفات الثلاثة
ذات غرض واحد (٢٨) لأنه ترد عبارة « بسم الله الرحمن الرحيم »
والعبارات التى تليها فى بداية للجزء الأول أما الجزء الثانى والثالث فهما
خاليان من البسملة ومن جميع العبارات التى تفتتح بها الكتابة .

وبالمطبع فإن انتماءهم إلى مؤلف واحد وكذلك مضمونهم العام ، إلى
جانب حجم أشعار الجزء الأول والثانى ، كل هذا يتحدث عن منطقية
هذا التصور . لكن بناء هذه المجموعة الثلاثية يتميز قبل كل شىء بأن كل
جزء محدد ومستقل فى الموضوع عن الجزء الآخر . وعلى كل حال فقد
صحح هذا الالتباس فيما بعد وأصبح فهرس فرين (٢٩) يعكس تعريفا
بالمخطوط أكثر وضوحا . فتحت الأرقام ٨٠٦ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ وضعت أسماء
الثلاث مؤلفات ولم يندرج المخطوط كله تحت رقم واحد بل تحت سبعة أرقام
حسب عدد المؤلفات التى يضمها إلى جانب هذه المؤلفات . وبعد « فرين »
ظل هذا المخطوط فى النسيان . ولم يذكر فى أى فهرس مطبوع للمتحف
الآسيوى سوى فهرس وصف بمجموعة روسو (١٨١٧ م) الجامع لكل
الأصول . ومرت مائة سنة بالتام منذ تسجيل المخطوط حتى ذلك الوقت
الذى أثار اهتمام ذلك العالم الذى تولى المخطوط من مسنده حتى خرج فى صورة
هذا الكتاب الحالى .

وقد خصص كراتشكوفسكى فى كتابه عن المخطوطات العربية فصلا كاملا (٣٠) عن هذا المخطوط . وهو أول من توصل إلى نسبة هذه المؤلفات الثلاثة فى مخطوط لينجراد إلى ابن ماجد . وربما أنها لم تكن معروفة للعلم آنذاك . وقد أصبح هذا الافتراض مؤكدا بعد أن سئل عنهم «فيران» الذى كان يعتبر فى العقد الثانى من قرننا ، الحبير بكل ما حفظ من أعمال الملاح العربى وصاحب الفضل فى إدخال اسمه إلى دنيا العلم . وكان رده «فيران» ، هو أن أراجيز الطرق البحرية الموجودة فى مخطوط لينجراد ليست لديه بها سابق معرفة . وعلى الرغم من كل تشويقات كراتشكوفسكى وإغراءاته له بأن يتولى دراستها إلا أن فيران لم يتمكن من أخذ هذا العمل على عاتقه . فقد كان عليه أن ينجز بعض المسائل التى لا يمكن إجارؤها إلى جانب أن بعض الأمور العلمية أرغمته على أن يضع الأدب العربى البحرى فى المرتبة الثانية . ومع أن صورة هذا المخطوط الوحيد قد أرسلت له وقدرها حق قدرها وعزم على إصدارها إلا أن موته فى ٣١ يناير ١٩٣٥ حال دون تحقيق هذه الفكرة . وهكذابقى المخطوط دون أن ينشر . لكن العالم الذى اكتشفه لم يرد أن ينساه . فى محاضراته عن تاريخ الأدب العربى وفى بعض مقالاته المنشورة (٣١) نجد إشارة إلى الثلاثة طرق البحرية المجهولة لابن ماجد .

وفى ربيع سنة ١٩٣٧ كنت طالبا فى جامعة لينجراد ودرست على يد كراتشكوفسكى طرق تحقيق المخطوطات العربية . وفى نهاية إحدى محاضراته الفت نظرى إلى المخطوط ٩٩٢ — B وأشار على بشرح الأجزاء التى تثير اهتمامى . وعلى الفور اخترت أراجيز أحمد بن ماجد وعندما تحققت بنفسى أن هذه الأراجيز لم يشر إليها فى الأبحاث المنشورة وأنها فريدة فى بابها شعرت بنفسى أقرب على عتبة عمل كبير ممقد لكنه جدير . وبعدها بدأ البحث . وفى خلال الصيف والخريف أعددت الوصف الأولى للأراجيز

وتفسير المسائل المتعلقة بالمضمون والتواريخ واللغة والدراسة الخطية والمعنى العام . وفي بداية عام ١٩٣٨ ووفق على طبع هذه الدراسة في دار الطبع التابعة للمجمع العلمى . ولكن لم ينس لها أن ترى النور . ففي هذا الوقت اضطررتى الظروف إلى الابتعاد عن الأعمال العلمية مدة ثمانى سنوات ونصف . وفي ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٦ شعرت بارتياح كبير لوجود مخطوطى كاملا وسليما على أثر عودتى إلى ليننجراد بعد تلك الأعوام الثقيلة من حصارها والجللاء عنها . وتجدد العمل بخطى ثابتة ووتيرة قوية بغض النظر عن الصعوبات الظاهرية التى كانت تتطلب عادة وقفات زمنية ليست بذى بال . وفى ربيع ١٩٤٧ كان النص جاهزاً ومن يونية حتى أكتوبر أعددت الشروح والتعليقات الرئيسية . وفى الخريف اكتمل إعداد الترجمة والمقدمة . وماتلا هذا من الوقت كان لإنهاء البحث والتغلب على الصعوبات المترتبة على عدم وجود صلات مستمرة مع المواد العلمية فى ليننجراد . وينبغى عند تقويم المحاولة الأولى لدراسة الطرق البحرية الثلاثة المجهولة لابن ماجد أن يؤخذ فى الاعتبار أن هذا العمل لا يدعى لنفسه أنه استغرق تحليل الموضوعات تحليلاً كاملاً . بل العكس هو الصحيح فهذا العمل يهدف إلى دفع الأبحاث فى المستقبل نحو التعمق فى دراسة الموضوع .

«العرب لا يحبون البحر» . هكذا أشار كراتشكوفسكى (٣٢) ذات مرة . « فإن الصورة العامة لهذا الشعب يحددها لدينا عادة تصورنا لصحراء بلا ماء ، وقوافل بطيئة هى سفن هذه الصحراء وأماكن نادرة من الواحات الداخلية . ولكن وضع شبه الجزيرة أدى إلى حتمية الاتصال الفعال مع العالم الشرقى الخارجى ، وفتح للعرب مبكراً الأفق الواسع للمحيط خارج نطاق المجال الصحراوى المعهود . وقبلنا راودنا حتى الآن التفكير فى هذا الجانب من الثقافة العربية . فالمحيط الهندى بعيد عنا ولم يكن لنا به اهتمام مطلقاً وغالباً ما كانت صورته التى وصلت إلينا قائمة على أساس مترن من

البحث العلمي احتجبت فيه العناصر الشاعرية . وقد أخذ المبادرة منادفيران . وزملاؤه من العلماء الممثلين للامبراطورية الفرنسية والذين ساعدوا على تغلغل نفوذها إلى الشرق . وعلما بنا يحركة غرض نبيل نحو شعوب الشرق ويجب أن نسمع صوته ونعلى كلمته في مجال أدب الملاحة العربية . .
وعلى كل حال فإن هذا البحث يزيد عدد مؤلفات ابن ماجد المعروفة للعلم من ٣٢ مؤلفاً إلى ٣٥ مؤلفاً . وبصرف النظر عن التقيد بهذا الزيادة العددية فإن التحليل التالي يوضح أن الطرق البحرية الثلاثة لا تعتبر زيادة في الحكم فحسب بل وفي الكيف أيضاً . ويبدو لي أن أهمية هذا العمل تتمثل أيضاً في أنه يفتح مجالات أوسع للتعميم . فموضوع العرب والبحر مازال ينتظر المزيد من البحث ودراساتنا بجادها تقوى بالصعاب ومن ثم فإنها تحمل عبء هذا البحث على أكتافها .

ابن ماجد : مجهوداته وأعماله

— ١ —

إن كل ما حصل عليه دفيران . من مواد جافة ، وتحدث عنها ، هي بعيدة كل البعد عن السكال . فمن بين الاثنين والثلاثين مؤلفاً التي ثبت (٢٣) أنها من مؤلفات ابن ماجد ليس هناك أى مؤلف منها يحتوى على حقائق لها علاقة بسيرة المؤلف . ومن هنا كانت عدم معرفتنا بتاريخ ميلاده ووفاته وكذلك فترة تأليف معظم أعماله . إلا أنه في هذا الصدد يمكن الاهتداء بالمعروف من تواريخ مقالاته أنها بين سنة ١٤٦٢ — ١٤٩٥ على اعتبار أنه لا يوجد قبلها أو بعدها أية مؤلفات وهو أمر يجب أن نعترف بأنه مؤسس على استناد ضئيف .

والآن فقد أصبحت الصورة العامة عن المؤلف معروفة . فالبداية وضعت وأصبحت الأبحاث التالية سهلة نظراً لوجود هذه البداية المدعمة .
خاتمة الكامل شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك

بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبي معالي السعدي بن أبي الركائب النجدي .
ويدل نسبه على أن أصل أجداده من الشمال العربي أما هو نفسه فسقط
رأسه مدينة « جلفار » ، بعمان .

هذا على الرغم من أن المؤرخين البرتغاليين للقرن ١٦ أرجعوا نسبه
جملًا إلى أصل هندي وأسموه « بحار الجوزرات » ، - « جويش وكشتانيداه
أوبربري الجوزرات - « باروش » ، (٣٣ أ) . وفي اعتقادي أن الموقع الجغرافي
لموطن ابن ماجد تحكم في اختيار مهنة بعض من حمل اسم عائلته . فعمان توجد
عند مدخل المحيط الهندي وعلى شاطئ الخليج العربي - أي على طرق
التجارة المنتعشة التي تأتي من من أسواق المحيط الهندي إلى المناطق الغنية
المتجمعة حول « بيرسبول » ، الساسانية ثم حول بغداد العباسية . وعلى الضفة
الأخرى سيراف وخوارزم وهما مدينتان قديمتان في إيران كانتا المركز
الدولي للتجارة البحرية (٣٤) وعن طريقها مباشرة احتفظت جنوب غرب
آسيا بالعلاقة التجارية المستمرة مع الشاطئ الشرقي لأفريقيا ومدغشقر
والجزء الغربي من الهند وسيلان وجزر أندونيسيا ؛ وكذلك احتفظت بالعلاقة
التجارية مع الصين البعيدة (٣٥) . وبالطبع فإن شعب كل من الشاطئين العماني
والفارسي كان مرتبطًا بالبحر منذ وجوده . وكان بعضهم مقيداً طول حياته
بعمل شاق هو صيد اللؤلؤ ؛ وبعضهم حقق ثروة عن طريق السمسة في التجارة ،
وسعيهم المستمر وراء المكسب السهل . وأصبحوا أملاك سفن وقاموا برحلات
خطيرة عن طريق المحيط إلى الأراضي الغنية في شرقه وغربه (٣٦) .
أما البعض الآخر فقد وهب نفسه لدراسة فن الإبحار وتفهم قواعده وأصوله
الثابتة الموجودة في أوراق البردي الإيرانية القديمة (راه : نامك) التي تنقلت
من جيل إلى جيل وأصبحوا ملاحين بفضل معرفتهم الجيدة بالبحر . ولكن
الواقع القاسي لحياة البحر أدى إلى إدخال بعض التعديلات على القواعد
القديمة وضرورة تحديد الخلاف بين النواحي النظرية والعملية . ومن هنا
قام كل ملاح بتأليف مجموعة كبيرة أو صغيرة من المقالات البحرية .

وإلى هذه المجموعة الأخيرة ينتمى ابن ماجد الذى ورث هذا العمل عن جده وأبيه . ففي القرن الخامس عشر لم يكن من النادر وجود عائلات توارثت فن الملاحة .

والملاح هو فى نفس الوقت قبطان السفينة ويعتبر الرجل الثانى بعد صاحبها . وعليه تقع مسئوليات جسام . فالحفاظ على أرواح طاقم السفينة والبضائع الثمينة وسلامة وصول السفينة إلى الميناء المقصود ، كله يتوقف على معرفته بظروف الإبحار فى الطريق المطلوب ويتوقف على قدرته فى التغلب على الصعاب المختلفة والأخطار غير المتوقعة أحياناً . وكل هذا كان يتطلب من قائد السفينة توفر مهارات مهنية وسيطرة على كمية هائلة من المعلومات النظرية والعملية . ويجب أن يكون شجاعاً غير منهور ، حذراً غير كسول ، محافظاً غير متمزمت ، ذا أخلاق عالية لكن غير متساهل ، دقيقاً فى الكلام ، صارماً فى العمل ، وأن يكون أستاذاً فى عمله على السفينة ومثالاً للأخلاق التى يجب أن يتجلى بها المواطن فى أرض غريبة (٢٧) .

وأهم واجب معنوى للملاح ألا يهرب من سفينته ولا يتركها حتى الرمح الأخير وأن يكون وفياً لها بغض النظر عن أى شئ . وهذا الواجب واضح حتى فى الآثار القديمة للأدب العربى كما عند القبطان بزرج بن شهریار فى عجائب الهند :

« نحن الأخوة الملاحين مرتبطون بواجبنا وأقسمنا ألا نغادر سفنتنا حتى النهاية المهلكة . نحن الملاحين نصعد على ظهر السفينة وبهذا ترتبط بها حياتنا ومصيرنا ، فإذا نجت السفينة نجونا وإذا هلكت هلكنا معها » (٢٨) .

وفى عصر ابن ماجد كانت الشروط التى ينبغى توافرها فى الملاح قد أخذت معنى كبيراً لدرجة أنها كانت مدونة ضمن القوانين الهامة للدولة . ويتضح هذا فى القوانين البحرية للمملكة الملايو الصادرة بأمر الأمير محمود شاه ولكنها بعض الملاحين من الملايو حيث يقول فى المقدمة :

هنا قوانين متبعة لاستعمال المراكب وجميع السفن عامة في البحر والموانئ . فعلى كل شخص أن يتكيف مع ما هو مقرر عليه حتى يتمكن من تأديته بالضبط وبنظام تام . ويجب مراعاة هذه القوانين في كل المناطق التي تخضع لسيطرتنا وحيثما توجد الهيئات البحرية التي لها حق التفتيش البحري . أما القوانين المدنية فتسرى على المناطق الداخلية من الدولة ولذلك يجب اتباع القوانين البحرية على البر . وللبحارة القوة والسيطرة على ظهر السفينة حتى يأمنوا من الخلافات والمنازعات ويمنعوا أى فرد من التصرف على هواه ويتجنبوا الصعاب غير المتوقعة المحتمل حدوثها في البحر . فإذا اتبعت هذه القوانين فمن يجرؤ على الوقوف أمام صاحب السفينة ؟ فهذه القوانين صادرة عن له العظمة والسلطة علينا السلطان محمود شاه المسيطر على أراضى الملايو ليؤمن التجار الأجانب ذوى العلاقات الطيبة معه ومع المسلمين في البحر وعلى اليابسة .

أما الفصل الثامن فيرد الكلام عن المعلم (٣٩) المسئول عن قيادة السفينة .

فالمعلم إذا حدث له أثناء الأبحار أن تعرض لازمة فيجب عليه بعد عودته إلى وطنه أن يوزع صدقات على الفقراء بمناسبة نجائه من الأزمة . وإذا حدث أن أهمل في قيادة السفينة وترتب على هذا أن اصطدمت السفينة بمقبة وتحطمت فهو محكوم عليه بالموت إذا لم تظهر عناية الله الجبارة بعده .

وواجبات المعلم سواء في البحر المفتوح أو على الأرض ، تنحصر في دقة انتباهه وملاحظته ومعرفته للرياح والعواصف والاتجاهات وحركات القمر والنجوم وأسس التقويم الزمني والموانئ والشواطئ المختلفة والجزر والشعب المرجانية والمياه الضحلة والهضاب والجبال . وكل هذه الأمور يجب أن يكون على وعى بها حتى يكون طاقم السفينة في أمان تام في البحر والبر وحتى يكون

فى مأمن من الأخطاء . وإلى جانب هذا يجب ألا ينسى مطلقاً الصلاة لله ولرسوله ، ليأمن الشرور والأخطار . والمعلم ينظر إليه القانون على أنه إمام . وهو لا يمكنه أنما كان أن يحصل على إذن بمغادرة السفينة فهكذا القانون وعادات البحر (٤٠) .

ولا يعتمد نجاح الرحلة على المعلم أو الربان لحسب ، بل إن التوزيع الصحيح للواجبات على كل أعضاء الطاقم يلعب دوراً كبيراً إلى جانب الصداقة والتفاهم فى العمل بين كل من وزع عليهم واجبات الرحلة . ويتحدث أبو الفضل العلامى مؤلف القرن السادس عشر عن تقسيم الطاقم وواجبات كل فرد من أعضائه فيقول مامُفاده:

يعتمد عدد الملاحين فى طاقم السفينة على حجمها . فى السفن الكبيرة ينقسم طاقمها إلى اثنى عشر قسماً :

١ - ناخدا : أو صاحب السفينة

٢ - المعلم أو الربان (٤١) : ويجب أن يكون على إلمام تام بالسفن فى المحيط أو بغاطسها إذا كان كبيراً أو صغيراً وأن يكون على معرفة بعلم الفلك . وهو الذى يقع على عاتقه قيادة السفينة إلى مقصدها وتجنّبها الأخطار .

٣ - تنديل : وهو كبير الملاحين الذين يسمونه بلغة البحر «خلاصى» أو «خاروة» .

٤ - ناخدا خشب : وهو الذى يمون الركاب بالخشب والقش للتدفئة ويساعد فى شحن وإزال ما بالسفينة .

٥ - سر هنك : وهو الذى يتولى عملية إرساء السفينة وعادة ما يخلف المعلم .

٦ — بهمدارى : وهو الذى يتولى حفظ وخزن الطعام والمأكولات .
٧ — كرانى : وهو السكاتب الذى يتولى تسجيل المسكاتبات على السفينة .
ويوفر الماء للركاب .

٨ — سكان كير : أو ماسك الدفة وهو الذى يوجه السفينة حسب إشارة المعلم . وهناك سفن لها كثير من ماسكى الدفة لكن عددهم لايزيد عن عشرة .

٩ — بنجرى : وهو الذى يوجد على أعلى الصارى ويبلغ كل ما يراه عن الأراضى والعواصف التى تواجه السفينة .

١٠ — كنمقى : وهو ينتمى إلى فصيلة الخلاصى . ويقوم بعملية إزاحة المياه التى تنسرب إلى داخل السفينة عند السير .

١١ — توب أنداز : أو الصفوف المحاربة ويستعان بهم فى الاشتباكات البحرية . وحجم السفينة هو الذى يحدد عدد الجنود .

١٢ — خاروه — أو بحارة : وهؤلاء يتولون رفع الصارى وإنزاله . ولدى بعضهم واجبات أخرى كمنع اندفاع المياه إلى السفينة أو تخليص المرساة (٤٢) .

يبد أن العمل السليم المنظم لطاقم السفينة والتعاون السليم لكل أجزاء جهازها الحى يعتمد أولاً وأخيراً على كيفية تنظيم الربان وهيئته على واجبات المروسين . والمعلم هو عقل السفينة وقلبها المتحرك وروح العمل المشتغلين عليها وكل هذا يضطاره أحياناً إلى علاقة قاسية مع نفسه طالما أن قوانين البحر قد ألزمته بهذا . وهذه الشروط العالية هى التى تتطلبها ابن ماجد نفسه فى مهنته حيث يقول :

د أعلم أيها الطالب أن لركوب البحر أسباب كثيرة فأفهمها فأولها معرفة المنازل والأخنان والدير والمسافات والباشيات والقياس والإشارات وحلول

الشمس والقمر والرياح ومواسمها ومواسم البحر وآلات السفينة وما يحتاج إليه وما يضره وما ينفعها وما يضطر إليه في ركوبها وما ينبغي تعرف المطالع والاستويات وجلسة القياس وترتية ومطالع النجوم ومغاربها وطوها وعرضها وبعدها وعمرها إن كان معلما ماهرا وينبغي أن تعرف جميع البرور وندخانها وإشاراتها كالطين والحشيش والحيات والحيتان والموارز والأرياح وتغير الأمواه ومد البحر وجزره في كل طريقة ويكمل جميع الآلة ويتفقد في أحضان السفينة وآلاتها ورجالها ولا يشحنها غير العادة ولا يطلع في مركب إلا يطاع فيه ولا مركبا بغير إعتداد ولا في موسم ضيق ويحترز عن الأخطار في مثل عدة ورجال وغيره. وينبغي للعلم أن يعرف الصبر من التواني ويفرق بين العجلة والحركة عارفا عالميا بالأشياء عزاماً فتاكا لينا (١) في قوله ، عادلا لا يظلم أحداً لأحد مقيماً (٢) على الطاعة لربه متقياً (٣) لله تعالى لا يغضب التجار على حقوق إلا على شيء وقع عايه القول أو جرت به العادة ، كثير الاحتمال ، على الهمة ، صباراً مقبولا بين الناس لا يسعى فيما لا يصلح له ، أديباً لييبا وإلا قلبيس هو معلم بالقاعدة فإذا كملت فيه هذه الخصال فالمبتدأ أولاً بمعرفة المنازل وكل نجم منها له اسم مشتق منه سبب اسمه فينبغي أن يعرف الجميع .

وكان ابن ماجد يتبع هذه المبادئ والتعاليم بحرفيتها وقد رسمها لنفسه بدون تبعية للأصول المرعية المدونة . وبالنسبة لمن توصل إلى أسرار مهنته وعاش معها عشرات السنين ووضع نفسه في مواجهة الصعاب والتغلب عليها ، فمن الجائز أن يصبح كل هذا مادة له للفخر بهذه المهنة . وإن المعلومات الخاصة لابن ماجد كانت كبيرة جداً . فلقد عرف بتعمق أحواض المحيط الهندي من البحر الأحمر حيث تخصص والده والخليج العربي حيث نشأ ابن ماجد على شواطئه وترعرع ، إلى شرق أفريقيا وجزر الملايو وجنوب الصين .

(١) في الأصل « لين » . (٢) في الأصل مقيم . (٣) في الأصل متق .

وإن تجربته الغنية بقيادة السفن أعطته شهرة واسعة في الشرق ثم في شبه جزيرة « البيرنيه » (أسبانيا) كما سنرى فيما بعد .

وإن ما كان يتناقل شفاهاً من جيل إلى جيل في صورة أقاصيص بحرية احتفظ له باللقاب « أسد البحر » و « شاعر القبلتين » مكة والقدس . ولعل اللقب الأخير أكثر غلوًّا . فإننا لا نجد في مؤلفات الملاح العربي عمق الفكرة ولا جمال التركيب . ولغة هذه المؤلفات جافة غير مشذبة وهي إما زائدة في الأطناب أو بالغة في الاختصار . فالرجل يهتم بالناحية العملية ولم يكن يهتم بجمال التعبير . ولكن ما كان يعنيه دائماً هو ضبط الفكرة ووضوحها وهذا يعني أنه كان ينظر إلى اللغة لا كهدف وإنما كوسيلة لتوضيح الأمور العلمية . ولم يكن ابن ماجد في يوم من الأيام شاعراً ، ويبدو أنه كان يتبعد عن الشهرة الزائدة التي أطلقها عليه المعجبون به وهو يلقب نفسه بتواضع « أسد البحر الرابع » وأحياناً « رابع الثلاث » ، ويقصد بهم الليث بن كهلان (٤٣) ، ومحمد بن شاذان وسهل بن أبان . وهؤلاء لم يعرفوا إلا عن طريقه وكانوا من الملاحين العرب المشهورين في القرن الثاني عشر ولهذا يعتبرون سابقين له في المهنة .

ولم يستطع ابن ماجد ألا يعترف بأنه من الملاحين الذين كانوا يبحرون قرب الشواطئ وأنهم سبقوه القدامى في المهنة . وقد أبحر عشرات السنين في كل المحيط الهندي وذهب إلى آفاق بعيدة واستطاع أن يسمى نفسه « بليث البحر » دون أى تأنيب من ضميره .

عندما استطاعت رحلة فاسكو دى جاما الوصول إلى ما بعد رأس الرجاء الصالح ، وانفتح أمام ناظر الأوربيين محيط جديد ، لم يخاطر أمير البحر بالإبحار في المحيط الذي لا يحده شاطئ . واتجه بجذاه الشاطئ الشرقي لإفريقيا

وتوقف في مالندى حيث شغل بالبحث عن ملاح من هذه المنطقة. وكان ملك مالندى يشعر نحو الأجانب الغرباء بشعور طيب. وعلى الفور أشار عليه بابن ماجد. ودعا «دى جاما» الملاح المشهور إلى سفينة القيادة الضخمة. ولنعطى الكلمة لباروش المؤرخ البرتغالى فى القرن السادس عشر :

« فى أثناء وجود فاسكودى جاما فى مالندى كان معه جماعة من الهنود توجهوا إلى أمـير البحر على ظهر السفينة وكان يوجد أحد البربر من الجوزرات يدعى « مالموكانا » . وللتمتع بحديث مواطنينا ولإرضاء ملك « مالندى » الذى كان يبحث عن ملاح للبرتغاليين ، قبل ابن ماجد أن يتوجه معهم إلى السفينة . ورضى دى جاما كل الرضا عن معلوماته بعد التحدث معه وخصوصاً بعد أن عرض عليه الأعرابى خريطة لـكل الشواطىء الهندية مرسومة كما هو عند العرب عامة بخطوط الطول والعرض وفى غاية الوضوح ، ولكن بدون الإشارة إلى الرياح بين خطوط العرض . وذلك لأن مربعات خطوط الطول والعرض كانت فى منتهى الصغر . واتضح أن الخريطة فى منتهى الدقة (٤٤) . وأرى دى جاما هذا العربى أسطربالبا كبيراً من الخشب كان قد أحضره معه وكذلك أسطربالبات معدنية أخرى لقياس ارتفاع الشمس والنجوم . وعند رؤية هذه الأجـمـزة لم يظهر الأعرابى أى اندهاش أو استغراب بل قال إن الملاحين العرب فى البحر الأحمر يستخدمون أجهزة مثالية ومربعية الشكل لقياس ارتفاع الشمس وخصوصاً النجم القطبي . وأضاف الأعرابى أنه نفسه وغيره من الملاحين يبحرون من « كباية » ومن كل أنحاء الهند ويستعينون ببعض النجوم الشمالية والجنوبية إلى جانب النجوم الواقعة فى منتصف السماء وكذلك الشرقية والغربية منها . ولهذا فهم لا يستخدمون الأسطربالاب إنما يستخدمون أجهزة أخرى عرضها لهم وهى تتكون من ثلاثة ألواح ولها نفس الهدف لدى ملاحينا . وبعد هذا الحديث مع الملاح حصل دى جاما على انطبـاع مفاده أنه وجد فى ابن ماجد ثروة كبيرة . وحتى لا يفقده أمر على الفور بالإنبحار إلى الهند وفى يوم ٢٤ أبريل اتجه فى الطريق ،

ووصل دى جاما إلى كاليبكوت^(١) فى ٢٠ مايو من نفس العام أى فى أقل من شهر .
وأرسل مالميو كانا إلى اليايسة ليبلغ ملك البلاد بوصول البعثة البرتغالية .

وتوجه الملاح العربى من كاليبكوت إلى كابوكات حيث يقيم أعرابى
يعرف باسم « ابن سعيد » وهو الشخص المسئول عن أعمال التجارة (٤٥) .

وهذا دليل من مذكرات « جويش » :

« أعطى المالى فاسكودى جاما ملاحاً جيداً هو أعرابى من الجوزرات
يعرف باسم « مالميو كانا » (٤٦) . وفى النهاية نورد دليل كاشتانيدى :

« وصل فاسكودى جاما إلى مالى فى ١٥ مارس سنة ١٩٤٨ وفى ٢٢
أبريل أرسل إليه ملك مالى ملاحاً من الجوزرات يدعى « كانا كا » . وفى
٢٤ أبريل (٤٧) أبحر معه دى جاما إلى كاليبكوت . وفى ٢٤ أبريل ١٩٤٨ قاد
ابن ماجد سفينة فاسكودى جاما متجهاً إلى الشرق ، وبعد شهر ، فى ٢٠ مايو
وصلت الحملة بسلام إلى كاليبكوت على الضفة الغربية للهند (٤٨) . ولأول
مرة فى التاريخ البشرى ، وبفضل أستاذية الملاح العربى فى فنه تمهد الطريق
للبحرى من أوربا إلى ثروات الشرق الأوسط الذى كان الغرب يتحرق شوقاً
إليها . وقد أعطى شهرة كبيرة لابن ماجد ماردهد كأمونس من مدح كبير
له حيث يقول :

« هو قائد وموجه للسفينة ، لم يكن فيه شيء من الكذب ، فهو كان
يبحر للأمام متجهاً فى الطريق البحرى الصحيح ، وبفضله أصبح هذا الطريق
يجتاز بثقة كبيرة عما كان من قبل » (٤٩) .

وكان لهذا الحدث تأثير مضاد على الشرق فشعوب المحيط الهندى قاست
بعدها من ويلات القراصنة والمختلسين والمستغلين ذوى المآرب الهادفة

(١) أى كاليبكوتا بالهند

إلى الغنى عن طريق الثروة الموجودة على اليابسة . وكل هذا مصحوب بإرساء
قواعد السيطرة البرتغالية .

ومن خلال كتابات كاتب القرن ١٦ قطب الدين النهر والى في ملاحه
البطولية تظهر كراهية واصحة المستعبدین الأجانب ، وتحسرو ألم على ابن
وربيب وطنه الذى أراهم الطريق إلى جواهر الشرق ، :

فالمخطوط (١٦٥٠ ص ٥٦) الفصل الثانى (الباب الأول) فى ذكر إنتقال
الدولة باليمن من بنى طاهر إلى الأمير حسن من الجراكسة ، يقول : « وقع فى
أول القرن العاشر من الحوادث الفوادح النوادر دخول البرتغال (البرتغال)
اللعين من طابقة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند وكانت طائفة منهم يركبون من
«سبته» فى البحر ويلحقون فى الظلمات ويمرون خلف جبال القمر بضم القاف
وسكون الميم جمع أقر أى أبيض وهو مادة أصل بحر النيل ويصلون إلى المشرق
ويمرون بموضع قريب من الساحل من مضيق أحد جانبيه جبل والجانب
الثانى بحر الظلمات فى مكان كثير الأمواج لا تستقر به سفائهم وتكسر
ولا ينجو منهم أحد واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون فى ذلك المكان
ولا يخلص من طايفتهم أحد إلى بحر الهند إلى أن خلس منهم غراب^(٥) إلى الهند
فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر إلى أن دلهم شخص ماهر من أهل
البحر يقال له أحمد بن ماجد صاحبه كبير الفرنج وكان يقال له الأملندى
(Almirante بالبرتغالى) (٥٠) وعاشه فى السكر فعلمه الطريق فى حال
سكره (٥١) وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان وتوغلوا
فى البحر ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج فلما فعلوا ذلك صار يسلم من
الكسر كثير من مراكبهم فكثروا فى بحر الهند وبزوا فى دكوة، (جوا) بضم
الكاف العجمية وتشديد الواو ومعناها اسم لموضع من ساحل الدكن .
..... قلعة يسمونها دكوتا ، (ومعناه حصن أو قرية باللغة
الهندية القديمة) ثم أخذوا هرموز وتقوا هناك وصارت الأمداد تترادف

عليهم من البرتغال فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا ونهباً ويأخذون كل سفينة غصباً إلى أن كثر ضررهم على المسلمين وعم أذاهم على المسافرين فأرسل السلطان مظفر شاه بن محمود شاه بن محمد شاه سلطان كجرات يومئذ (يومئذ) إلى السلطان الأشرف قانصوه الغورى يستعين به على الإفرنج ويطلب العدد والآلات والمدافع لدفع ضرر الأفرنج عن المسلمين، (٥٢).

ويتبين من تحليل مخطوط لينجراد أن جزءاً كبيراً من أرجوزته تشابه وتقرب من هذه الصورة بتصويرها للمستبد البرتغالى بنغمات وألوان مماثلة. وهذه الصورة غير موجودة فى أعمال أخرى لابن ماجد. وهى تفيض بتصوير عذاب الرجل المضحوك عليه، والحسرة والندم على ما أقدم عليه، والنعمة والغضب على البرتغاليين. إن هذه الصورة أو هذا الوصف وثيقة لا تقدر بثمن لواقع الرحلة نفسها التى كان ابن ماجد كما يبدو مخلصاً لها حتى النهاية.

— ٣ —

إذا كان المؤلفون العرب يعتبرون أن الوصف الجغرافى للبلاد الساحلية البحرية لا يتطلب بالضرورة رؤيتها رؤى العين فإن عكس ذلك تماماً فى الجغرافيا البحرية حيث تتناسق النواحي النظرية مع التطبيقية أو العملية. فالملاح، وهو فى نفس الوقت ربان السفينة، يستعين بما يتوافر لديه من الإرشادات لىكى يحدد موضعه بصفة عامة، لكنه يدخل على هذه الإرشادات التصحيحات أو التعديلات والإضافات من واقع تجاربه اليومية. ومن هنا تتسكون على مر الزمن خرائط جديدة للطرق البحرية. ولن يتسنى لدخيل على المهنة مهما كان حظه من التعليم غالباً أن يوجه الملاحين أو يرشدهم ما لم يكن هو نفسه ملاحاً. فالتفاعل الحى الخلاق بين العموميات النظرية والمجهودات العملية هى الخاصية التى تتميز بها الجغرافيا البحرية عن باقى الميادين فى الأدب العربى.

وتظهر هذه الخاصية بوضوح شديد في أعمال ابن ماجد . وليس من قبيل العبث أن يظهر إلى جانب لقب « أسد البحر » الذى يصاحب اسمه عادة ، لقب آخر هو « رئيس علم البحر » . فقد وهب البحر ما يقرب من نصف قرن من حياته الرشيدة . ولقد ورث المهنة أبا عن جد ، وأطال في مسالكهم البحرية . ومن مقتبل العمر حتى آخر أيام حياته قاد سفناً ، مختلف أصحابها ، عبر الطرق القديمة للبحر الهندي من جده إلى كردافور ، ومن عمان إلى سفاليه ومنها إلى الهند وإلى جزر الملايو وإلى خلجان جنوب الصين . وفي هذه الرحلات التى تتطلب خبرة مهنية كان ينظر وينصت إلى كل شيء ، ويزن ويقدر بدقة ، وينتقى ما هو ضرورى ، ويمرجعه لتجاربه وخبراته كان يحسن دائماً فى معلوماته العملية . ومع مرور عشرات السنين اجتمع له بعض الشهرة والفن وجمعه التقاليد بالملاحين الأسطوريين الثلاثة فى القرن الثانى عشر .

وبصرف النظر عن الفترة الزمنية التى تفصل بينهم فإن ابن ماجد استحق أن يلقب بـ « رابع أسود البحر » . وإن ملك « مالندى » الذى يصف « لوسباد » معاملته للبرتغاليين بأنها طيبة ، قد أشار فوراً على « دى جاما » بابن ماجد على أنه الرجل الذى يتوقف عليه نجاح الرحلة . وبعد صراع شديد مع الرياح على حد تصوير « كامبونس » الرائع أوصل الملاح العربى أول الأوربيين إلى الهند . وعندها ذاع صيته ووصلت شهرته إلى جزيرة البيرنيه البعيدة . وبعد ٦٠ عاماً يقوم « شلى أمير البحر التركى والنائر المترجم لابن ماجد ويصفه بأنه الباحث عن الحقيقة من الملاحين وأفضل من يوثق به من الملاحين والبحارة فى جنوب الهند فى القرنين ١٥ ، ١٦ (٥٣) . ومن بين نصف قرن من الجهد فى البحر ، هناك أربعون عاماً من أعمال ابن ماجد تقدم مثالا للدأب والمثابرة على نشر علم الملاحة البحرية . وقد ألف كثيراً من الأزهار فى معرفة البحار . وإن هذا الكتاب يجعل مؤلفاته خمسة وثلاثين وليس هناك تأكيد بأن هذا العدد يعتبر نهائياً .

ويعطينا تحليل محتويات المخطوط ٢٢٩٢ الموجود بالمكتبة القومية (٥٤) بباريس — والذي يحفظ كثيراً من أعمال ابن ماجد — امكانية وضع إطار عام لموضوعات الجغرافيا البحرية عند العرب .

ويحتوى المخطوط على ١٩ مؤلفاً ، يحتل المركز الأول منه « كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » المؤرخ ٨٩٥/١٤٩٠ والذي يعتبره « فيران » أكثر أعمال ابن ماجد نضجاً وألمعية (٥٥) . وينقسم هذا الكتاب إلى اثني عشر فصلاً من الفصول المفيدة (٥٦) : ١ — أصل الإبحار والأبرة المغناطيسية ٢ — الصفات والمعارف المطلوبة في المعلم ٣ — أوجه القمر ٤ — الأخنان ٥ — الجغرافيون والفلكيون السابقون ٦ — في الدورات الثلاثة أى المسالك البحرية ٧ — في الباشيات والقياس ٨ — في الإرشادات والسياسات وتركيب المركب والمسكر ٩ — وصف السواحل ومجموعات المعلمين الثلاث ١٠ — في الجزر الكبار المشهورات أى وصف أكبر جزر في العالم : جزيرة العرب ، والقمر ، ومدغشقر ، وسومطرة ، وجاوة والغور وسيلان وزنجبار والبحرين وسوقطرة ، وابن جاوان (١٥٦) ١١ — في المواسم (أى الرياح الموسمية) ١٢ — في صفة بحر قلزم العرب وجزره وشعبانه .

أما المركز الثاني فتحته « حاوية الاختصار في أصول علم البحار » . وهى باكورة من إنتاج ابن ماجد ترجع إلى سنة ٨٦٦/١٤٦٢م وتعتبر ملخصاً مختصراً لعلم الملاحة البحرية . وهى منظومة بالشعر ، وتبتدىء بسلسلة مزخرفة من الأراجيز والقصائد تختلف في أحجامها وموضوعاتها الرئيسية . وسنكتفي بذكر أهمها :

رقم ٤ : أرجوزة « تحفة القضاة » وتصف طريقة إيجاد « القبلة » للملك بواسطة خطوط الطول والعرض أو بالبوصلة .

رقم ٥ : « أرجوزة » بر العرب فى خليج فارس . وفيها وصف لجزيرة البحرين ، وخارج ، داس وِضى ، لاز ، رعنا ، الكهن ، قيس . هندرائى ، طُنْب ، هنجام .

رقم ١٣ : أرجوزة فلسكية عن ، أسد (٥٧) الله المظفر أمير المؤمنين الله على بن أبى طالب (٥٨) .

رقم ١٤ : أرجوزة وصف الطريق بين مكة وجدة إلى رأس الفرتك ، إلى كاليبوت، ودابول وكنتسكن ، وجوزرات والأطواح وهراميد (٥٩) .

رقم ١٦ : القصيدة الذهبية بقافية الباء وهى تعالج موضوع المرق والمغزير والأشاعر كالطين والأرياح (٦٠) .

رقم ١٧ : الأرجوزة المسماة بالفايقة فى قياس الضفدع (٦١) . وكل هذه المقطوعات الصغيرة السبعة عشرة غير مؤرخة ماعدا أرجوزة بنات نعش رقم ٦ المؤرخة سنة ١٤٩٥/٩٠٠ م .

وفى مخطوط آخر بالمكتبة القومية بباريس (٢٥٥٩) توجد ثلاثة مؤلفات أخرى لابن ماجد (٦٢) وهى عن الطرق البحرية الصغيرة مشروحة بالشعر وبقواف على مختلف الحروف العربية . وتحتل أهم مكان فى هذا المخطوط خمسة مؤلفات أخرى كبيرة عن الملاحة البحرية مكتوبة بالثر وتنسب إلى معاصر أصغر لابن ماجد وهو ملاح يسمى سليمان بن أحمد المهرى المسمى (النصف الأول من القرن /١٦) (٦٣) من مدينة عربية فى الجنوب تسمى «الشحر» . وحصيلة التعرف على مضمون هذه المؤلفات يكتمل ببيان خصائص الملاحة عند العرب بالمقدار الذى تحل به المشكلات القائمة فى الأعمال الفريضة المحفوظة . المؤلفان الأولان عبارة عن رسالتين تحمل الأولى اسم (رسالة قلادة الشمس فى استخراج قواعد الأسوس ،

وتنقسم إلى ستة فصول : ١ - أس السنة القمرية ٢ - أس السنة الشمسية
٣ - السنة الشمسية ٤ - السنة الرومية ٥ - السنة القبطية ٦ - السنة
الفارسية .

وتحمل الثانية اسم رسالة (شرح) تحفة الفحول في تمهيد الأصول، (٦٤).
وتنقسم إلى سبعة أبواب : ١ الأفلاك والكواكب ٣ - تجزئة الدورة
(أى تقسيم القبة السماوية إلى ٣٢ خنا مثل التقسيم البحري) ٣ - في الأزوام
٤ - في الديرة وبيان أصولها وهي على قسمين : ديرة ملى وديرة لمطلق
(أى البحار بمحاذاة الشاطئ وفي عرض البحر ٥ - في القياس ٦ - في
المسافة ٧ - في الأرياح .

وتحوى هذه الوثيقة القواعد العامة التى تنص على أن فن الملاحة البحرية
يقوم على أساس مزدوج : التفكير السليم والتجربة . وكذلك نجد أن المؤلف
الثالث وهو كتاب العمدة المهرية فى ضبط العلوم البحرية ، (٦٥) يحتوى على
سبعة أبواب أيضاً هى :

- ١ - فى معرفة الأصول (أى أسس الفلك البحري) .
 - ٢ - فى معرفة أسماء الكواكب .
 - ٣ - فى معرفة دير فوق الريح وتحت الريح .
 - ٤ - فى معرفة الجزر وديرهن .
 - ٥ - فى معرفة القياس على البرارى المشهورة .
 - ٦ - فى معرفة المواسم (أى الرياح الموسمية فى المحيط الهندى الشرقى
منها والغربية) (٦٧) .
 - ٧ - فى الأسفار (أى الطرق من جدة إلى السند ودابول
فى غرب الهند)
- والمؤلف الرابع هو كتاب المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر .
ويحتوى على وصف :

- ١ — الديرة (أى الطرق فى حوض المحيط الهندى)
 - ٢ — القياس على البرور المشهورة .
 - ٣ — الجزر للكبار المعمورة .
 - ٤ — المسافات (من الجزيرة إلى الهند ومن أفريقيا إلى أندونيسيا) .
 - ٥ — الرياح والمخدورات .
 - ٦ — علامات قرب البرور (شواطئ الجزيرة العربية وأفريقيا والهند
 - ٧ — حلول الشمس والقمر فى البروج والمنازل .
- أما المؤلف الخامس والآخر فهو بعنوان كتاب شرح تحفة الفحول فى تهيد الأصول ، وهو عبارة عن تعليقات على المؤلف الثانى مع إدخال بعض الزيادات الملحوظة عليه . وأبوابه السبع تحمل العناوين الآتية :
- ١ — فى صفة الأفلاك والكواكب ٢ — فى صفة تجزئة الدورة
 - ٣ — فى بيان حد الزام ٤ — فى بيان أصول الدير ٥ — فى القياس
 - (أى قياس ارتفاع الكواكب) ٦ — فى حكم أصول المسافات
 - ٧ — فى الرياح (أى نظام الرياح البحرية) .

وفى هذا المؤلف احتفظ بنفس موضوعات المؤلف الثانى مرتبة بالتسلسل مع توسيع وتغيير نسبى فى المحتوى كما سبق أن ذكرنا .

وتعتبر أعمال ابن ماجد وسليمان المهرى — كما يشير كراشكوفسكى — آخر قبس من الأعمال العربية الجديدة فى ميدان الجغرافيا ، (الجغرافيا العربية والرحالة ص ٧٦٠) . وخلفهم بعدهذا الأتراك والبرتغاليون . لكن على كل حال فإن نتاج تأليف هذين الملاحين بقى على وجه العموم دون تغيير أساسى حتى بعد ظهور « المحيط » وهى الموسوعة البحرية التركية فى القرن السادس عشر (٦٨) . ومؤلفها « شلبى » أمير البحر اعتمد أساساً على المصادر العربية بل إن تركيبها وبناءها كله واقع تحت التأثير العربى ولا يقلل من هذه الحقيقة وجود بعض الأسماء والمفاهيم الجديدة . فهناك عشرة فصول من المحيط تحمل مثل هذه العناوين :

- ١ — السماء والنجوم والاتجاهات الجغرافية ، وتقسيم قبة السماء .
- ٢ — أسس التقويم الشمسي والقمرى والسنة القبطية والرومية والفارسية .
- ٣ — أخنان الحقة أو تقسيم بيت الإبرة .
- ٤ — الطرق فى المحيط الهندى وفى اتجاه أمريكا .
- ٥ — استكشاف أو رصّد النجوم وحسابها والمصطلحات الفنية البحرية .
- ٦ — تحديد أماكن الموانىء والجزر بواسطة النجوم وقياس ارتفاعها .
- ٧ — المسافات بين الموانىء المختلفة وطرق إيجادها ومعنى الزام (٦٩) .
- ٨ — الرياح الموسمية .
- ٩ — ثلاثون مسلّكا فى المحيط الهندى .
- ١٠ — الأعاصير والزوايع والعواصف والرياح الشديدة والاضطرابات الأخرى التى تحيق بركاب البحر .

وهكذا من خلال هذا الغطاء الرقيق لبعض التجديدات الخارجية فى العناوين والنص (٧٠) تظهر طريقة التلخيص الدقيقة الموروثة عن كتابات ابن ماجد وزميل مهنته الأصغر .

وتتضح هذه الطريقة أيضاً فى مجموعة القرن السادس عشر Reteiros البرتغالية والتى بها الكثير من الأخطاء فى النقل عن الأراجيز العربية (٧١) . وقد جاء ذلك نتيجة لمسميات ومصطلحات علم الطبوغرافيا (٧٢) ، ونتيجة لاستيعاب المعلومات العامة عن علم الملاحة فى المحيط الهندى وبخاصة فى جزئه الشمالى (٧٣) . ومن الواضح تسلسل الخط التاريخى : فالمؤلفات البحرية العربية ظهرت على أساس الاستيعاب الممحس لنظام الـ « راه نامك » ، الإيرانى . والمصطلحات فى بعض مؤلفات الجغرافيا العربية مثل « كتاب المسالك » ، تعكس أفكار الـ « راه نامك » ، الإيرانية . وكذلك كانت هذه المؤلفات بدورها نقطة الانطلاق للمؤلفات البرتغالية عن الطرق البحرية

التي تطورت وأدخلت على النظام التقليدي كثيراً من المضامين والمحتويات المستقلة .

— ٤ —

إن حصيلة المعلومات الموجودة تحت تصرف العلم والخاصة بالتعرف الأولى مع نصوص ابن ماجد تحمل طابعاً ساطعاً متعدد الجوانب .
في أول مخطوط رقم ٢٢٩٢ وهو أكثرها تشبهاً بالطابع العام يرد الاسم الكامل للملاح وهو شهاب الدين (٧٤) أحمد بن ماجد بن عمر بن فضل ابن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبي معلق السعدي بن أبي الركايب النجدي . والنسب الأخير يشير إلى أصله العربي في الشمال . وهو يسمى بالرحالة المتعبد الذي يهلي للمدينتين المنورتين مكة والمدينة (٧٥) . ويسمى أيضاً بالعلم العربي ، ورابع أسود البحر الثلاثة (٧٦) . وخليفته الوحيد (ص ص ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٦٥) .

ومن المحتمل في المقطوعة التالية أنه أعطاها أصلاً بحرياً أسطورياً وهي تحتوي على معلومات نادرة عن طابع أعمال الملاحين العرب القدامى ومن خلفهم يقول ص ٣ : « فلما استوت السفينة وتعلت الناس صنعت السفن على جميع سواحل البحر في جميع الأقاليم التي قسمها بين أولاده يافث وسام وحام وهو آدم الثاني (٧٧) فصار كل يعمل السفن في البحريات والخلجان وأطراف البحر المحيط حتى انتهت الدنيا لعنصر بن العباس وكان استقامة ملكهم ببغداد وهي عراق العرب وكان خراسان (٧٩) جميعه لهم والطريق من خراسان لبغداد بعيدة مسيرة ثلاثة أشهر أو أربعة ، » .

« وفي ذلك العصر الثلاثة الرجال المشهورين محمد بن شاذان وسهل بن أبان وليث بن كهلان ما هو ابن كاملان وقد رأيت ذلك بخط ولد ولده (٨٠) في رهماني (راه نامك) (٨١) تاريخه خمسمائة وثمانين سنة (٨٢) فاعتنوا بتأليف هذا الرهماني الذي أوله إنا فتحنا لك ولم يكن فيه أرجوزه .

ولا قيد إلا في كتاب ملفق لاله آخر ولا له صحة يزاد فيه وينقص وهم مؤلفون لامصنفون (٨٣) ولم يركبوا البحر (٨٤) إلا من « سيراف » إلى بر « مكران » وطلعوا من سيراف إلى مكران سبعة أيام ومن مكران إلى خراسان شهراً واحداً فاستقربوا الطريق وهي مسيرة ثلاثة أشهر (٨٥) من بغداد وصاروا يسألون عن كل بر أهله ويؤرخونه . (٨٦)

« وكان في زمانهم من المعاملة المشهورين عبد العزيز بن أحمد المغربي وموسى القنداني وميمون بن خليل وألف قبلهم أحمد بن تبرويه وأخذوا من مؤلفاته وأخذوا الوصف من المعلم خواشیر بن يوسف بن صلاح الأركي وكان ويسافر في عام أربعائه من الهجرة النبوية (٨٧) وما قارب منها في مركب دبوكرة الهندي . (٨٨)

« وكان في عصرهم من النواخذ المشهورة أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبو الفضل بن أبو المغيرة . وكان أكثر علمهم في صفات البرور وسایرات البرور وأكثرها من تحت الريح (٨٩) وبر الصين .

« وقد اندرست تلك البنادر والمدن وتنكرت أسماؤها ولم يستفيد في زماننا هذا ، شيئاً له صحة كعلمنا وتجاربنا واختراعاتنا التي في كتابنا هذا^(١) لأنها مصححة مجربة .

« وليس على التجريب شيء منه ونهاية المتقدم بداية المتأخر وقد عظمنا علمهم وتأليفهم وجللنا قدرهم رحمة الله عليهم بقولنا « إن أربع الثلاثة ، وربا في العلم الذي اخترعناه في البحر ورقة واحدة تفقيم في البلاغة والصحة والفايدة والهداية والدلالة بأكثر مما صنفوه . . .

وفي ص ٤ ب يقول : « فأخذوا هؤلاء الثلاثة الوصف والقوة من

(١) يقصد كتاب القوائد في أصول علم البحر والقواعد

« هؤلاء المذكورين وغيرهم فيأخذون من كل أحد معرفة بره وبحره ويؤرخونه وهم مؤنفون لا يجربون ولم أعلم لهم رابعا غيرى وقد قررتهم بقولى إني رابعهم لتقدمهم فى الهجرة فقط وسيأتى بعد موتى زمان ورجال يعرفون لكل أحد منا منزلته . »

« ولما اطلعت على تأليفهم ورأيتهم ضعيفاً بغير قيد ولا صحة بالكلية ولا تهذيب هذبت ما صح منه وذكرت الاختراعات التى اخترعتها وصححتها وجربتها عاماً بعد عام فى نظم الأراجيز والقصائد وفى هذا الكتاب عام ثمانين وثمان مائة (٩٠) فاستحسنوه الماهرون من أهل هذا الفن وعملوا به واعتمدوا عليه فى شدايدهم مثل رؤيا الجبال ومثل القياسات وأسماء النجوم ومعرفتها والهداية عليها . »

« ولم يعملوا^(١) أهل زمانى على ما ألفوه القدماء (القدماء) إلا قليلا مثل الدبر الصحيحة والترفات الرحوبات (٩١) وأما الشقاكات فلا وقد ذكرناها فى شرح الذهبية (٩٢) وسنذكرها فى غير هذا المكان . »

« وفى الحقيقة إن الناس كانوا فى الزمان الأول أكثر حزمًا ولا يركبون البحر إلا بأهله من شدة الحزم والخوف والحذر من البحر (٩٣) ويعدون^(٢) للمركب اعتداداً جيداً ولا يؤخرون الموسم ولا يشحنون المركب غير العادة ونحن أكثر منهم علماً وتجربة . »

« وكل فن من فنون البحر له أصل . فأصل السفينة ذكرناها إنه من نوح عليه السلام وأما المغناطيس (٩٤) الذى عليه المعتمد ولا تتم هذه الصنعة إلا به وهو دليل على القطبين فهذا استخراج داود عليه السلام

(١) فى الأصل يعلمون (٢) فى الأصل ويعدوا

وهو الحجر الذى قتل به داود جالوت وأما منازل القمر وبروجه تصنيف دانيال عليه السلام وزاد فى ذلك الطومى (٩٥) رحمه الله تعالى .

... رجعنا للبحث الأول وأما نجوم أختان الحقه (٩٦) وأسمائها^(١) هو تصنيف قديم قبل اللبوث المتقدم ذكرهم رحمة الله عليهم وهى تقريبية وأزوامها (٩٧) تقريبية لا حقيقة وكذلك صفات البرور التى جربناها وحررناها ودلنا على ذلك كثرة التجربة ، وصفة البرور ومررنا عليها أحسن من تصنفهم .

• وأما ضرب بيت الابرة بالمغناطيس قبل إنها من داود عليه السلام لما خرج فى طلب ماء الحياه ودخل الظلمة وبحره ومال لأحد الأقطاب حتى غابت عنه الشمس قيل اهتدى بالمغناطيس وقيل اهتدى بالنور ، والمغناطيس حجر يجذب الحديد فقط والمغناطيس كل شئ ما جذبه إليه وقيل إن السبع سماوات^(٢) والأرض معلقات بمغناطيس القدرة وقال الناس فى ذلك أقوالا^(٣) كثيرة وقيل إنها من داود عليه السلام وقيل إنها من الخضر والاسكندر ، (١٠٠)

• وأصل القياس من أسطرلاب ادريس عليه السلام وهو مصنف الأسطرلاب للدرج فجعلوا الدرج أصابع وقد ذكروه فى قصة مدينة النحاس وقد رتبوه غير الثلاثة محمد بن شاذان وأصحابه لأن المركب يسافر فى البحر الكبير (١٠١) بالقياس من عصر الأنبياء عليهم السلام وهؤلاء^(٤) الثلاثة جاءوا^(٥) على عصر العباسية وهذا النقل من توارىخهم بخط أيديهم .

وإن ابن ماجد — والحق يلح فى تأكيد خدماته — يتجه إلى حكم أجيال المستقبل مؤملا العدل فى مزيد من التقدير لأعماله .

(١) فى الأصل اسمائها (٢) فى الأصل السماوات (٣) فى الأصل أقوال
(٤) فى الأصل هؤلاء (٥) فى الأصل جاءوا

وهو على حق يعتبر أن مبدأ تتابع الأحداث هو الحائل الوحيد الذي يضمنه في المركز الرابع من الصف اللامع لبناء علم الملاحة العربية . وإن أعماله القائمة على التجربة من البداية إلى النهاية والسائرة من الناحية العملية إلى النظرية تفتح أفقاً جديداً لتطور المعلومات الجغرافية في الشرق . وهي إحدى الاتجاهات الأولى في التطور التي اكتملت في عصر الفتوحات العظمى . ودونما كلل من الحديث عن الجديد وضع ابن ماجد مسألة زيادة معلوماته باستمرار فوق كل شيء . وتوضح أوصافه لجميع الأجزاء المهمة من المحيط الهندي أنه كان سيد الموقف (١٠٢) . وعلى مر السنين كان من غير المعقول ألا يعتبر أول ممثلي حضارة العصور الوسطى للشرق التي بدأت في الانطفاء . وكان ابن ماجد يحترم من بين ملاحى عصره الممثلين الأولين لعائلته وهما أبوه ماجد بن محمد وجده محمد بن عمر . وكانا ملاحين في البحر الأحمر ومؤلفي أرجوزات بحرية . بل إن ابن ماجد في كبره كان يؤمن بمعلوماتهم بدرجة أكثر من إيمانه بمعلوماته الحديثة نفسها وهو نفسه يشير في كلامه إلى أن ماتركه والده من وصف للطرق البحرية في البحر الأحمر هي أحسن ما ورثه عنه .

ص ٧٨ أ هـ ولم يذكر شيئاً عن بحر القلزم قلزم العرب (١٠٣) فيجب أن نذكره إن فيه نواذر وحكم لم يذكرها إلا من جربها لأنه على طريق الحجاج وقد كان جدى عليه الرحمة محققاً فيه ومدققاً ولم يقر لأحد فيه وزاد عليه الوالد رحمه الله عليه بالتجريب والتسكُّر وفاق علمه علم أبيه . فلما جاء زماننا هذا وكررنا قريباً من أربعين سنة وقد حررنا وقررنا علم الرجلين النادرين وأرخناه^(١) وجميع ماجربناه وأرخناه انكشف لنا عن أشياء^(٢) وحكم لم يجمعها في زماننا شخص واحد^(٣) إلا أن يكون عنده شخوص متفرقة . فتخاف أن يدركنا الموت ونواذر الحكم في القلوب ولا شك أن

(١) في الأصل هـ وورخناه . (٢) في الأصل هـ أشياء . (٣) في الأصل شخفاً واحداً .

ما يعلم لا يقال جميعه فسنذكر على ماهو الطريق بالاختصار ليترقى به الطالب ونستغفر الله تعالى من الزيادة والنقصان . .

« وكان الوالد عليه الرحمة يسمونه الرباين ربان البرّين ونظم الأرجوزة المشهورة « بالحجازية ، فوق ألف بيت ومع ذلك كله قد أصلحنا له منها ما رأينا فيه الخلل وربنا ما لم يكن فيها » (١٠٤) .

ويتبين من تحليل الموضوعات أن ابن ماجد كان إلى جانب انجذابه إلى البحث العلمى ذا معرفة وإطلاعاً واسعاً في ميادين غير تخصصية . وكانت معرفته العامة واسعة جداً . وكان يقف في المستوى التقليدى المطلوب من المتعلم العربى . وعن هذا تتكلم الأسماء والمؤلفات التى يسيطر عليها . ففي أحد الفصول يذكر خمسة عشر شاعراً معروفاً فى عصر ما قبل وبعد الإسلام من بينهم امرئ القيس ومهلل بن ربيعة وعنترة بن شداد وعمر بن أبى ربيعة الخزومى وأبى الحسن بن هانئ . وكان يعرف الأديب صاحب النظريات الأسلوبية الجديدة ، والخليفة ليوم واحد أبا العباس عبدالله بن المعتز الذى قتل عام ٩٠٨ م . ومن مؤلفات العلماء يذكر « التصاوير » وهو كتاب الفلكى عبد الرحمن بن عمر أبى الحسن الصوفى (٩٠٣ - ٩٨٦ م) وتقويم البلدان لأبى الفدا (١٢٧٣ - ١٣٣١) وكتاب « زيج الغيبك » أى مختصر الجداول الفلكية لأولوغ بك بن شاخروه « شارخ » بن تيمورلنك (١٤٤٩) حفيد تاملان (١٥٠) . وكذلك كتاب « المجسطى » لبطليموس وترجمته العربية فى عصر المأمون وأيضاً الأعمال الرئيسية لأبى حنيفة الدينورى (٨٩٥) ، والموصلى (٩٥٥) وابن حوقل (٩٧٧) . ويعتمد على كتاب « جهرة الأمثال » لأبى هلال العسكري (١٠٠٥) وكتاب (المشترك) لشهاب الدين الباقوتى (١١٧٩ - ١٢٢٩) . كذلك يرجع إلى الكتاب النادر « البطل العربى » للشاعر أبى القاسم الفردوسى (٩٣٤ - ١٠٢١) .

وكل هذا يوضح المطالب العالية التى وضعها ابن ماجد لنفسه كإنسان خرج بعيداً عن الإطار الضيق لمطالب مهنته .

والمعلومات التي في المخطوطات ٢٢٩٣، ٢٥٥٩ وفي مخطوطنا ٩٩٣ - B وكذلك في بعض المصادر الأخرى المقارنة تسمح لنا بتصوير الملاح العامة لصورة الأعمال الفنية للملاحين العرب في البحر .

وكان لبعض المعلمين سفنهم الخاصة لكن الأغلبية كانت تعتمد على تأجير السفن من مالكيها الذين كانوا يقومون بالأعمال التجارية الحية بين مختلف شواطئ المحيط الهندي . وكانت أنواع التجارة عبارة عن الحرير والاطلس والأقشة القطنية والؤلؤ وأنواع الصبغ وأنواع أخرى من الأخشاب وسن الفيل والحلوى .

وغالباً ما كان ضمن هذه التجارة تجارة الرقيق وبخاصة من الشواطئ الشرقية لأفريقيا والجزر المجاورة . وكان الملاح يؤجر لرحلة واحدة وعندما ينتهي منها يوصل السفينة إلى المكان المحدد ويرجعها إلى الميناء الذي رحل منه وكان في استطاعته أن يتعامل مع صاحب سفينة أخرى .

وكان الملاح كبقية طاقم السفينة يأخذ عن عمله أجراً غير ثابت ، وكان حجم الأجر يعتمد على المكان وطول المدة التي سيقضيها في الرحلة . وبهذا الخصوص توجد لدينا معلومات من القرن ١٦ تتعلق بالأجر في مياه المحيط الهندي . فثلاً في تشيناجون كان الملاح يمنح عن كل الوقت الذي يمكنه ٢٠٠ روية وفي لاهور ١٥٠ روية . أما في آتشين فكان أجره يصل إلى ٣٠٠ روية وفي كامباية وملاقة ٤٠٠ روية . أما في الأجزاء الخاضعة للبرتغاليين فكان يمنح ٥٠٠ روية وفي «بيج» و«تيناسريم» ٦٠٠ روية . وإلى جانب هذا كان له على السفينة التصرف في قمرتين فكان في استطاعته تأجيرها للمسافرين أو شغلها ببضائعه الخاصة . وكان الملاح برياسته لطاقم السفينة يمنح أكبر أجر من أجور أفراد الطاقم . وكانت أحجام الأجور تتناسب مع الأثني

عشرة درجة لطاقم السفينة . فآخرها هي الدرجة الثانية عشرة وهم البحارة وكانوا يمنحون في الموانئ المذكورة أجراً يتراوح ما بين ٣٠، ١٢٠ روية (١٠٦) .

والمقالة الخاصة بقوانين البحر ومطالب الرحلة التي كتبها ابن ماجد نفسه والتي سقناها في بداية هذا الفصل تدل على كل الالتزامات والمسئولية الملقاة على عمل المعلم الذي لم يكن لديه من الحقوق ما يتكافأ مع ما عليه من واجبات .

والربان وهو في نفس الوقت « القبطان » كان عليه قبل الرحيل من الميناء أن يختار ويجمع الطاقم السكف . ويتأكد من سلامة السفينة من جميع الجوانب وألا يسمح بشحن المركب أكثر من اللازم أو غير العادة . وكان يأخذ معه في الرحلة ستة أشياء : خريطة للطريق (راه نامك) ؛ وبوصلة أو حُقَّة ؛ والآلات التي تحدد ارتفاع النجوم ، أدوات القياس ، والأشياء التي تمكنه من تحديد خطوط العرض الجغرافية ؛ وحجر يستخدم في الصيد (ثقل يوضع في الشباك أو في سناير الصيد) ؛ وآلة لقياس عمق المياه « بُلد » ؛ وفانوساً لإعطاء الإشارات . أما ساعة الإبحار فكان يحددها المعلم حسب النظام البحري للمكان وحسب الأحوال الجوية . وعندما تشحن البضائع في الميعاد الذي يحدده لها ويركب الركاب وأولهم صاحب السفينة ، كان الربان آخر من يصعد على ظهرها ويأمر برفع المرساة . وقبل الخروج إلى عرض البحر المفتوح كانت تقرأ سورة الفاتحة بصوت مسموع ثم يتلوها دعاء بأن يسمعها الحاضر حاكم أشعار البحر وحامي المسافرين .

ولم يكن هناك معلم واحد يعتبر أن من حقه الإيمان الأعمى بالراه نامك (١٠٧) . فبواسطة الشمس وتحركات السحب نهراً وأوضاع النجوم ليلاً كان يحدد مكان السفينة ويوجهها إلى الجهة المطلوبة . وإلى جانب هذا

كانت تجرى قياسات عمق المياه وملاحظة الأحوال الجوية . وعلى أساس المعلومات التي يحصل عليها يدخل على الخريطة تعديلات وزيادات. وكانت اتجاهات التيارات تحدد بواسطة حفنة من الرماد ترمى على سطح الماء . وكان اللوح القائم خلف مؤخرة السفينة يسمح بمعرفة سرعة تحرك السفينة على وجه التقريب

وبواسطة الوقوف والظفر للشمس حسب زاوية معينة مع تحريك يد ممدودة ممسكة بقطعة خشب ذات علامات كان من الممكن معرفة ارتفاع الشمس . ولكن إذا كانت الطرق البحرية معروفة جيداً للملاحين العرب فإنهم كانوا يفضلون الإبحار ليلاً تجنباً لقسوة الحر في المنطقة الإستوائية. وكان جهاز قياس ارتفاع النجوم من أسرع الأجهزة المتطورة إلى الكمال لديهم وكان أكثرها شيوعاً جهاز « الكمال » . وهو عبارة عن مستطيل من القرون مقاس 9×15 سم وله شريط ذو تسع عقد وعند استعمال الكمال ، يمسك الشريط من نهاية بواسطة الأسنان ويوضع المستطيل أمام العينين بحيث يمس أفق البحر بطرفه السفلى ويمس الطرف العلوى النجم المطلوب . والعقدة التي يتقاطع فيها خط الأفق والنجم تشير إلى الارتفاع وه الكمال ، الدقيق يسمى بالبليستي (١٠٨) وفيه يحتل مكان الشريط ذى العقد فرع رفيع من الأبنوس .

ويقدم سبدي على شلبي وصفاً لجهاز آخر لقياس النجوم يتكون من تسعة ألواح مختلفة في شريط . كل منها مقسم إلى تقسيمات ما بين أربع على اللوح الأول إلى اثنتي عشرة على اللوح التاسع وأكبرها يتفق مع الأصابع أو الدرجات .

وكان لابن ماجد معرفة بالاسطرلاب المقسم إلى درجات (أصابع) ويعتقد أن مخترعها النبي أدريس أو ابنه لاب (١٠٩) . وعندما تكون

السماء ملبدة بالغيوم كانت تستخدم البوصلة (الحقة أو الديرة) (١١٠) . وفي قاعها أو أساسها ترقد « ورده الريح » ، ولها ٣٢ خنا (١١١) وكانوا يعتبرون أن الإبرة المغناطيسية تشير إلى الجنوب (١١٢) .

وتراجع قراءة الأجهزة مع ما هو مكتوب في الخريطة . وهذه الأخيرة في شكلها الأسامي عبارة عن تنظيم ذي تقسيمات وعلى رأسه تقف الإشارات إلى عدد الأصابع بين الأتق وهذا النجم أو ذاك مرتبة حسب الزيادة والنقصان وهو موضح تحت هذه الأعداد ما يطابقها من الأماكن . ويتم مراجعة ذلك عملياً بمقارنة المعطيات عن الأعماق محسوبة بالبائع أو القائمة عن المسافات التي فيها وحدة القياس عبارة عن ثلاث مسافات من السير البحري (الزام) . ويحدد الربان اقترابه من الأرض بعدة مظاهر أو علائم : سقوط المطر ، وظهور الطيور وأسماك المياه العذبة والأغصان العائمة ونقصان عمق المياه وتغير لونها بالتدرج من الماء الأخضر إلى الماء الأبيض .

وأول من يرى الأرض هو البانجاري الذي يوجد بأعلى الصاري وعليه ملاحظة الأتق وإخبار الربان بما يلاحظه . وبالدخول إلى الأجزاء غير العميقة القوية من الشاطئ كان يتأتى الحذر بخاصة من الطحالب أو المراء والشعب والطحلة والعرق أو ارتفاع القاع حيث كان على الربان أن يسير في مجال ضيق بخطوط مندرجة ضد الريح مع طي القلاع . وأخيراً ترسو السفينة عن الشاطئ بواسطة المرسية . وكانت القلاع تطوى وتسير المراكب الصغيرة (السنابيك) للتعرف والاستطلاع الأولى . وعند الحصول على المعلومات المطلوبة تبدأ السفينة في الاقتراب رويداً رويداً وتفرغ حمولتها وتتنظر العمليات التجارية النهائية . وبعد شحن السفينة بالبضائع الجديدة تبهر مع الرياح الموسمية المنعشة إلى الميناء المجاور أو ترجع ثانية من حيث أتت . ولم يكن الإبحار بجوار الشاطئ ليخفف من عمل الربان . فالخدر من المناطق غير العميقة والارتفاعات

والدوامات كانت تتطلب فناً كبيراً يجمع بين رباطة الجأش والقدرة على الخروج من المآزق والمواقف الصعبة إلى جانب قدرته على الحسم وتوفير المعلومات العامة عن الحوض الذى يحل فيه .

وقد احتفظت النماذج الأثرية للقرن الثالث عشر برسومات لأشكال السفن العربية . وعند النظر إلى هذه السفن التى تبدو من وجهة النظر الحديثة غير متينة وبعيدة جداً عن الكمال ، فإنه لا يمكن ألا نندهش وتتحير من أنها تمخر عباب المحيط وتصد أمام الصعاب المختلفة وتنتصر عليها . ولا يمكن شرح وتفسير هذه المهارة إلا بارتفاع المستوى الفنى للأعمال البحرية التى بدأت تطورها فى الشرق منذ أيام الانجيل . وعن هذا الجانب تسكلم بوضوح المصادر التى ترسم خطوط الرحلات الكبرى فى المحيط فى العصور العربية الوسطى .

إيضاحات المخطوط اللينينجرادى

التكوين

فى مجموعة المخطوط رقم ٩٩٢ - B يقدم ابن ماجد ثلاث منظومات عن وصف الطرق البحرية . الأولى والثانية على وزن الرجز (ومن هنا ظهر الاسم العربى أرجوزة والجمع أراجيز) ، والثالثة من بحر الطويل . ومن ناحية الحجم هناك تباين كبير بينها فأول منظومة (ص ص ١٨٣ - ١٩٦) ، تحوى ٨٠٥ بيتا والثانية (ص ص ٩٧ ب - ١٠٤) ٢٧٣ بيتا والثالثة (ص ص ١٠٤ ب - ١٠٥ ب) ٥٤ بيتا فقط . وإلى جانب هذا نجد أن بين الأرجوزة الأولى والثانية على الصفحتين (٩٦ ب - ١٩٧) بيتين شعريين مضمونها دينى هادف يرجع إلى الشيخ أبى بكر بن عبد الله العيدروس (١١٣) . وكل بيت شعر فيها يتحد شطراه وله قافيته الخاصة . وعلى هذا فالوحدة الشعرية هنا هى البيت بشطريه . وفى المنظومة الثالثة

يختلف النظام ونجد سلسلة من القوافي : التاء (بيت واحد) ، الهاء (١٤ بيتاً) ،
تى (٥ + ٣٨ بيتاً) . وهذه القافية الأخيرة تنتشر في الإنتاج كله وتعطيه
اسماً شكلياً ، الأرجوزة (هكذا) الثانية ، .

والنص الشعري الأساسى يبدأ على الفور بعد المقدمة . وهى مكتوبة
بالنثر وهنا أيضاً لا تناسق فى حجمها : فالمقدمة رقم ١ تسعة سطور ورقم ٢
سبعة ورقم ٣ أربعة سطور) . وكل سطر من النص عبارة عن شطرتى بيت
شعر عادى . وأحياناً تظهر علامات التقسيم بين الشطرتين فى شكل خط
منعرج . ولهذا العلامات فى الأرجوزة الأولى نفس اللون (الأسود)
الذى للنص إلا أنها لا تستخدم إلا فى ثلث صفحة ٨٤ ب (السبعة أسطر
الأولى) من الأبيات الاثنتين وعشرين التى فى الصفحة . وفى الأرجوزة
الثانية تستخدم هذه التقسيمات فى شطير ست صفحات من أربع عشرة صفحة
(ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٨ ب ، ٩٩ ، ٩٩ ب ، ١٠٠) أما فى المنظومة
الثالثة فلا توجد هذه التقسيمات . وإلى جانب هذا فى أول خمس علامات
تقسيم من علامات الصفحات الست لنص الأرجوزة الثانية نجد أن نهاية
الأشعار مزينة بخطوط مقلوبة . وعدد الأشعار فى كل صفحة غير متساو
بالمرة : ففى أول مقطوعة يتراوح العدد بين ٢٢ بيتاً (ص ٨٤ ب) إلى ٣٦
بيتاً (ص ٩٣ ب) . وفى الصفحتين قبل الأخيرة يزيد العدد إلى ٤٢ بيتاً
(ص ٩٥ حتى ٤٨ بيتاً ص ٩٥ ب . والعكس فى المقطوعة والقصيدة الثانية
خالفروق تكاد تكون غير ملحوظة . فهناك من ١٩ بيتاً (ص ١٠١ .
١٠٣ ، ١٠٣) حتى ٢١ بيتاً (ص ٩٩ ب ، ١٠٠ ب ، ١٠٤) .

وينطبق ذلك أيضاً على المقطوعة الثالثة . وعلى بعض الصفحات (٨٩ ب ،
٩٣ ب ، ٩٥ ، ٩٥ ب ، ٩٦ ، ١٠٤) إضافات شعرية تبدو لأول وهلة
أنها فى صلب النص الرئيسى . وعلى كل حال فأهم ما فى هذه الإضافات هو
فى ص ٩٥ ب حيث يوجد ١٧ بيتاً . وهناك دليل للحكم على أن هذه الإضافة

لابد وأن تلو مباشرة النص الرئيسى فى ص ١٩٥ وأن تسبق النص على الصفحة التالية .

ووجود هذه الإضافات لا يفسر بثنائية تحرير المخطوط كما يبدو لأول وهلة وإنما يمكن تفسيره بعملية أبسط من هذ هى الهدف فى توفير الأوراق التى لم تكن فى ميسور ناقل المخطوط على ما يبدو . وهذا واضح من أن مثل هذه الإضافات توجد حيثما يبدو أنها تتبع فى البناء الفكرى آخر أشعار الصفحة لا منتصفها على الإطلاق .

الكتابة

نقلت هذه الأراجيز الثلاثة كلها بخط واحد على خلاف الجزء الموجود تحت رقم ١ من منتصف ص ٨٦ ب حتى آخر ص ٨٨ (الآيات ١٧٨ — ٢٨٠) فهو مكتوب بخط آخر يختلف فى كتابته للحروف بحيث تبدو جميلة فى رفعها والتوائها . ومن هنا يتضح أنها مكتوبة بقلم مغاير ، له سن محكم فى وضعه للنقاط والعلامات بإتقان ونظام . ووجود خط غريب وسط نص المخطوط هى ظاهرة نادرة الحدوث فى كتابة المخطوطات العربية . ويمكن فى هذه الحالة أن يكون الخط الأصيل أو الرئيسى لناقل المخطوط ، المعلم ، والمقطوعة (ص ص ٨٦ ب — ١٨٨) هى بخط تليذه . والدليل على ذلك هو خواص الكتابة ذاتها : فعند الشخص حديث السن ، عادة ما يكون خطه مثقلا بالمخطوط الزائدة والعلامات المختلفة . فى حين أن الشخص كبير السن عادة ما يكتب المخطوط بسهولة ويسر دونما تعقيدات . وعلى هذا يمكن تفسير ظهور خط التليذ فى منتصف مخطوط الأستاذ على النحو التالى: أن الأخير أى الأستاذ أراد أن يعطى الفرصة لتليذه كنجربة ولكن لعدم رضائه عن نتيجة هذه التجربة (ربما لأن النقل بخط واع يتطلب وقتاً كبيراً من الزمن) . كان عليه أن يقوم بنقل المخطوط بنفسه . وخط

الاستاذ نفسه غير متجانس . ويبدو أنه عندما كان يكتب يال هادىء أو عندما كان يعمل فترة قليلة من الوقت وعنده ما يكفيه من الورق فإن قلبه كان يتحرك بتأن وهوادة متأقاً فى كتابة الحروف بتماوج ودقة ووضوح . ولكن الناقل المعجوز سرعان ما يتعب ويصبح مشتتاً . فالحروف لاتفصل وإنما توضع حيثما اتفق ويصبح الخط على عجلة والفاصل يبل مبسطة . وبالإضافة إلى ذلك إذا وجد أن الورقة لن تنسج فعندها تميل السطور ويقل حجمها وتضيق المسافات بينها وينتقل بعدها إلى الأجزاء الخالية فى المخطوط . ويبدو أن تحسين الخط بالنسبة له لم يكن شيئاً محبباً فهو يتعجل إتمام هذا العمل . ومع هذه العجلة يزداد تشتتاً : فى الصفحات المكتوبة بالخط الأساسى أو الأصلى ٤١ مكاناً مشطوباً يعلوها التصحيح ، والأخطاء تمتد إلى الحروف وبعض الكلمات المنفردة بل وبعض العبارات أو الجمل (١١٤) . وفى حالة أخطاء الكلمات المنفردة قد توجد حروف زائدة أو ناقصة (١١٥) . أما أخطاء القطعة عامة فأكثرها تميزاً ووضوحاً هو كما يبدو نتيجة لقلة الإلمام بالمادة العلمية (١١٦) . أما الأخطاء النحوية فهى فى الواقع نادرة أو بالصدفة (١١٧) . والنقاط والعلامات موضوعة تقريبا فى كل الأماكن إلا أنه أحيانا ما يكون وضع النقط غير محدد بحيث يلغز المضمون (١١٨) ، ويصعب فهم الكلمات الأجنبية المتخصصة . ومن النادر جداً فى التشكيل حسب القاعدة العامة أن يظهر على الهمزة المنطرفة أو تنوين الفتح - إلا عندما يكون المطلوب تحديد وزن الشعر . ويترب على عدم وجود هذا التشكيل فى بعض الحالات تصور خاطئ . يصعب التخلص منه (١٢٠) . والهمزة المتوسطة (:) تسهل بكتابتها ياء (ي) . والتشديد موجود بصورة كبيرة فى كتابة القطعة . وإلى جانب وظيفته الأساسية يستخدم أيضا كعلامة لعدم وجود الثلاث نقط (كما فى س مثلا) وعدم وجود نقطة فوق الحرف يعرف بوجود نقطة تحت الحرف كما فى د = د) . والخط الرئيسى أو الأصلى لا يستخدم التشديد تقريبا إلا مع الحركات لتوضيح البحر والقافية ، أو لإبراز تصحيح حرف كسب خطأ .

أما الرسم غير المألوف للحروف فعند الانتقال إلى الكتابة السريعة أو تغيير الطريقة المكتوبة إلى المستقيمة يتميز بالخواص التالية : أولا عدم الاتحاد مع الحرف التالي ، وأحيانا يخالف هذه القاعدة وينتج عن ذلك نوع جديد من الرموز . وثانيا : لا تكتب الهاء المنطرفة (هـ) منفردة وإنما تشكل بانبعاج الحرف الأخير أو ثنيه . ثالثا تكتب التاء المربوطة (ة) بغير نقط (بصرف النظر عن بعض الحالات الموجودة في المقطوعة الثالثة إذ أنها نهاية البيت رابعا : الياء المنطرفة (ى) تكتب أحيانا في الاتجاه العكسي وفي كل الحالات التي استعمل فيها هذا الحرف تقريبا تكتب نقطتين تحتهما حتى في حالة الألف المقصورة . وفي هذه الحالة الأخيرة تستبدل أحيانا بالألف الممدودة (١٢٢) . ونادرا ما يوجد العكس (١٢٣) .

اللغة

في الأشعار الأخيرة الأجزاء الأولى (الآيات ٧٩٢-٨٠٥ ص ١٩٦ و ١٧ - ٣٠) التي ترجع إلى الناقل أو كاتب المخطوط يقول إنه حفظها عن أحمد السعدى يعنى أحمد بن ماجد (يقول عن أحمد السعدى أحفظها ص ١٩٦ / ص ١٧) ونظمها (ص ١٩) وأيضاً عرفها في حياة المؤلف الذي كان يسأله عنها (عرفتها حتى بقي ربانها يسألني عنها وعن شعبانها) (هناك أيضاً ص ٢١) (٥) . وعلينا ألا نخرج من محاولته التظاهر بالاعتماد على ذاكرة غبوره (١٢٤) تبدو وكأنها على نقيض طبيعة أخطائه في كل مراحل النقل عندما كانت بعض الكلمات والشطور تنقل ثم تشطب ثانية (ملحوظة أنظر ١١٤) . . وتشير هذه الظروف إلى أن الكتابة كانت عن طريق النظر لا عن طريق التفكير الواعي وأن الناقل كان

(٥) هذا غير صحيح وقد جانب شومونسكى الصواب عندما فهمها على هذا النحو وقد تكرر هذا الخطأ أيضاً في الترجمة الروسية لهذه الآيات والواقع أن ابن ماجد يتكلم عن نفسه في هذه الآيات (المترجم) .

يقوم بهذه العملية آليا من مخطوط سابق لهذا كان موضوعا أمامه ونتيجة لشروء ذهنه كان أحيانا ما يخطئ السطور وهذا شيء معروف لنا . ولكن في نفس الوقت ليست هناك تأكيدات ثابتة على أن ذلك المخطوط السابق تابع أو ملك له . بل العكس ، فإن تصريحه بعلاقته الشخصية مع المؤلفات تمكننا من افتراض أنه سمع مشافهة روايات ذلك الملاح المشهور عن أحوال وظروف الملاحاة في مختلف الأماكن التي ذهب إليها طيلة حياته . وبعدها اقتنع برغبته في تخليد هذه الروايات في صورة شعرية على وزن الرجز يسر من حفظه . والدليل على أن هذه الرغبة قد تحققت هو المخطوط القديم السابق الذي نقل عنه بعد موت ابن ماجد نسختنا هذه . وعن الممكن أن يكون هذا المخطوط أيضا قد مر دون أن يراجع المؤلف . لكن المراجعة : تقتضى القدرة . وابن ماجد ليس كاتباً محترفا وإنما قبطان تجارب ولم تكن تهمه الصورة الأدبية . بل إن من المشكوك فيه أن يكون قد أوتي حظا كبيرا من المقدرة عليها . في حين أن الجانب العلمي كان أقوى وكانت الحقائق تجذبه إليها وكانت صحة المضمون هي ما يهتم به . ومن هنا كان في إمكانه أن يصحح كل معلومة تفصيلية تاركا أمر الصياغة أو الصورة الكتابية لناسخ المخطوط نفسه . ويؤكد هذا أن مقدمات الأراجيز الثلاث موضوعة بعد موت ابن ماجد وهي من تأليف الناسخ كلية وفيها نفس الأخطاء في القواعد اللغوية الموجودة في المضمون الشعري الأصلي . وعلى هذا النحو نجد أن أمامنا الآن لغة واحدة لكل أجزاء المخطوط مع وجود مؤلفين أو ناسخين . من الصعب أن نقول أن ثانيها ساعد في تأليف الأرجوزة الأولى إذا نحن أخذنا في الاعتبار ملاحظة عليها هي أنها تحوى ٧٠٠ بيت (هي سبع مائة بيت : ص ٩٦ أس ١٧) . وهذا العدد على ما يبدو صحيح بالنسبة للنسخة الأولى وأشار إليه الناسخ تلقائيا في النسخة الثانية . إلا أن قد غاب عنه أن في هذه النسخة الأخيرة زاد العدد ١٠٥ أبيات من تأليفه نفسه . على أن الاختلاف

بين إشارة الناقل والأرجوزة نفسها فيما يتعلق بعدد الآيات يعضد وجود مخطوط سابق للأرجوزة الأولى غير معروف لنا وربما كان ذلك لغیر الأولى أيضا .

وبالنسبة لتطابق الاسماء مع الضمائر العائدة عليها فإن لغة الأراجيز لا تقیم وزنا كبيرا للفرقة بينها . فبدل د ه ا ، التي تشير إلى المفردة أو جمع المؤنث غیر العاقل يستخدم أحيانا الضمير د هن ، لجمع المؤنث العاقل بل وأحيانا د هم ، (١٢٥) وإذا كان هذا الخروج عن القاعدة في النص الأساسي يمكن أن يعزى بصعوبة بالطبع — إلى مطالب الوزن الشعري فإن وجوده في المقدمة الثرية يدل مباشرة على جهل ناسخ المخطوطات بالقواعد النحوية (١٢٦) . وقد يحدث أيضا أن يستخدم ضميران مختلفان لنفس الاسم (١٢٧) بل وقد يحدث هذا في نفس السطر (١٢٨) ومن الغريب أن تكتب الكسرة فتحة على الاسم المجرور (١٢٩) .

وقد تحكمت مطالب الوزن الشعري في التركيب الداخلي الأشعار . ففي بعض الحالات اقتضى الأمر استعمال لغة مهنية مقتضبة (١٣٠) وعلى العكس من ذلك في أحوال أخرى حيث اقتضت الضرورة التكملة بالاطناب والكلمات الزائدة (١٣١) . وفي هذين النمطين الأسلوبين يتجلى وجود مصدرين للغة الأرجوزة أولهما التجربة والخبرة العملية البحرية وثانيهما النظرية الأدبية . وهذه الخاصة الثانية هي أكثر ما تكون في العبارات الاعتراضية التي يتوجه بها إلى القارئ (١٣٢) وفي عبارات التوكيد المختلفة مثل د بالتحقيق د أو د باليقاني ، أو على اليقين وهكذا . إلا أن الصفة العامة لهذه العبارات وأيضاً أماكن استخدامها يشير بصفة رئيسية إلى أنها ترتبط من ناحية أخرى بمطالب وإلزامات القافية .

وتوجد في أل ١١٣٢ بيتا شعريا ، ٢٠٢ حالة تستخدم منها ٦٨ لقبا مشكلة من ٣٨ أصلا . ومن هنا يتضح الدور الكبير الذي لعبته هذه الألقاب في

تشكيل العمل على القافية . وليس في هذا ما يشير الاستغراب إذا نحن تذكرنا ماهو معروف عن غنى اللغة العربية وخواصها الاشتقاقية الكبيرة إلا أن هناك حالات تشير إلى افتقار شديد في اللغة يجب ألا نتخذنا . فمن بين كل لقبين من أصل واحد يستخدم واحد في كل ثلاث حالات . والواقع أن من ٣٥ أصلا للقب واحد مثل يأخى تحتست ٣٢ حالة استعماله .

وفي حالات أخرى تبسط القافية المسجوعة باستخدام الحروف المنقارية الأصوات فالباء المضمومة تكون قافية مسجوعة مع الواو والصاد مع الظاء والصاد مع السين وأحيانا مع الشين (١٢٣) وأحيانا تستخدم حروف تغيب معها موسيقى القافية مثل حرفي ت ، ث أود ، ذ ، س وش ، ف و ق (١٣٤) وأحيانا لا تحسب حروف العلة أو الضمائر (١٣٥) أو تتم المطابقة بين الضمائر (١٣٦) وحذف النقط من الناء المربوطة يجعلها مساوية لضمير الغائب أو الهاء المنطوقة (١٣٧) . ونون (المثني) تحذف أو تترك لفظة القارىء ليحذفها (١٣٨) .

وفي النهاية ، في المجموعة الثالثة من الأشعار يبسط اختيار القافية بتوافق وزني في القراءة (١٣٩) وأحيانا ما تكون بنفس النهايات (١٤٠) وأحيانا مع اختلاف النهايات (١٤١) وأحيانا باتفاق تام (١٤٢) . ويلاحظ تبسيط القافية أيضا باستخدام الأعداد وقرائنها الآلية (١٤٣) وأيضاً في الكلمات المعربة (١٤٤) .

وبهذه الصورة فإن نمط الأسلوب الأدبي الأراجيز ليس على مستوى رفيع . يؤكد هذا القوافي الناجحة التي تتفق في أصولها (١٤٥) أو تجنيسها (١٤٦) أو التوازي العكسي (١٤٧) أو التلاعب بالألفاظ (١٤٨) . وتجدد الإشارة أيضا فيما يتعلق بالحرية الشعرية إلى مسألة تقصير حركة المد أو مد الحركة القصيرة (١٤٩) أما الكلمات العربية غير الصرفة فتوجد بصفة رئيسية في المسميات الجغرافية الطبيعية الوصفية والمفرادات العنصرية وترد بدرجة أقل في المسميات الفلكية والمصطلحات البحرية الخاصة (١٥٠)

التواريخ

- من بين مؤلفات ابن ماجد الاثنين وثلاثين المعروفة حتى طبع هذه الطبعة ثلاثة فقط مؤرخة هي : ١ - أرجوزة « حاوية الاختصار في أصول علم البحار » مخطوط ٢٢٩٢ ، رقم ٢ ، المؤرخ في ٨٦٦ / ١٤٦٢ م
- ٢ - المقالة النثرية « كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » مخطوط ٢٢٢٢ ، رقم ١ المؤرخ في ٨٩٥ / ١٤٩٠ م .
- ٣ - أرجوزة « بنات نعش » مخطوط ٢٢٩٢ ، رقم ٦ المؤرخ في ٩٠٠ / ١٤٩٥ م .

وبناء على هذه المعلومات استطاع « فيران » أن يؤكد بأن أعمال ابن ماجد الأدبية استغرقت فترة ٣٣ عاما (١٤٦٢ - ١٤٩٥) .

وبهذا تنتهى كل معلوماتنا التاريخية عن ابن ماجد إذا ما نحن أغفلنا الإشارة عن اشتراكه في رحلة فاسكودى جاما سنة ١٤٩٨ . وقد سارت المصادر العربية الموجودة وراء « فيران » في هذه الناحية ولم تأت بشيء جديد والأرجوزة اللينينجرادية لا تحتوى فى أى مكان ما على إشارات واضحة عن عام نسخها . لكنها تشرح مختلف أماكن الشاطئ الشرقى لأفريقيا فى منطقة موزمبيق وتذكر الصحراء بين الواحات السودانية والمناجم فى سفالية وتشير إلى ما حكاه ابن ماجد عام ٩٠٠ (١٤٩٤ / ١٤٩٥ م) عن مرور سفن الفرنجة (يعنى البرتغاليين) من أمامه تشق طريقها إلى الهند (١٢٥) . ولكنهم ضلوا مدة عامين بدون جدوى فى المياه المجهولة وعادوا إلى منطقة الزنج فى شرق أفريقيا (ص ١٩٤) . ثم تلا ذلك رحلة فاسكودى جاما وكان ما كان من إرساء . الإستعمار البرتغالى الثقيل فى شمال المحيط الهندى وهو ما أثار عند ابن ماجد شعورا بالمرارة : « ياليت شعرى ما يكون منهم » وهذا التلميح على ما يبدو يتعلق بالدور الحامى لرحلة عام ١٤٩٨ . وعلى

سما ان نرى أساسا المعلومات الدقيقة . ولكن أهم تاريخ مذكور قبل هذا
بقليل ص ٩٤ / ص ١٦ ، عندما يشير إلى أنه بعد الإبحارات الفاشلة حتى
أول رحلة لفاسكودى جاما وصل البرتغاليون إلى الهند في ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ /
١٥٠١) واتخذوا لأنفسهم هناك مساكن وأوطان وكونوا علاقات صداقة
مع الأمراء السوامر في كلكتا واعتمدوا عليهم :

وبعد ذا فى عام تسعماية وست جاءوا الهند بإخاية
واشترى البيوت ثم سكنوا وصاحبوا وللسوامر ركنوا

وتذكر عام ١٥٠٠ / ١٥٠١ م فى مكان آخر (ص ٩٣) عند تحديد مكان
رسو البرتغاليين على الشاطئ الهندى .

ومن الصعب إعادة تقدير أهمية هذا الدليل التاريخى . فأولا : على
عكس ٣٢ مؤلفا لابن ماجد تنسب إلى القرن ١٥ نجد أن أراجيزنا النادرة
ترجع كتابتها إلى أوائل القرن السادس عشر لأن عام ١٥٠٠ / ١٥٠١ هو
باكورتته . وثانيا : أن لهذا السبب تعتبر هذه الأرجوزات من فترة متأخرة
عن باقى مؤلفات ابن ماجد المعروفة . وثالثا وأخيرا أنها تصيف ست
سنوات كاملة إلى فترة أعمال ابن ماجد الأدبية وتمتد بها من ٣٣ عاماً كما
حددها فيران الى ما يقرب من أربعين عاماً . فإذا كانت الإشارة إلى
اشترك مؤلفنا فى رحلة فاسكودى جاما هى حتى الآن آخر دليل لذكره
فإننا الآن نستطيع القول بثقة بأن أيام ابن ماجد امتدت حتى القرن ١٦
وأن تأنيب ضميره المر لما شاهده من سياسة البرتغاليين كان مبنيا على أساس
ملاحظات طويلة .

ويحدد وقت نسخ الأرجوزة بتاريخين موجودين فى أجزاء أخرى
من مجموعة المخطوطات ٩٩٢ - B . ففى نهاية نص المؤلف الأول من
المؤلفات الموجودة فى المخطوط (ص ص ١ - ٣٩) المعنون « رسالة فى

علم الموسيقى (الموسيقى) المسمى بزين الحان ، إشارة إلى أنها نقلت في أواخر شعبان المعظم سنة إحدى وأربعين وتسعمائة أى فبراير ١٥٣٥ م .

وآخر مؤلف في المخطوط (ص ص ١٠٨ - ١٤٧) كتاب واقعات (فى النص واقعة) للسلطان جم بن سلطان محمد خان . وهناك فى ص ١٤٧ الإشارة التالية : (قد تم كتاب واقعات سلطان جم سلطان بعون الله ونوفيقه فى تاريخ سنة عشرين وتسعمائة) أى فى ١٥١٤ م . ولبست هناك أية معلومات دقيقة أخرى فى المخطوط . والتاريخان ١٥١٤ ، ١٥٣٥ م . نفسها لا نجد فيهما أية معلومات دقيقة عن تاريخ نقل أرجوزتنا .

ومجموعة المؤلفات المختلفة فى المخطوط منقولة بمخطوط مختلفة خرجت من تحت أقلام مختلف الناقلين . وعلى هذا فما لدينا ليس مؤلفات تختلف فى المؤلفين فحسب وإنما فى تنوع موضوعاتها وفى اختلاف خطها وكتابتها .

كل هذا مجموع فى مجلد واحد وتوضح النظرة القرية أن سبب ذلك يرجع إلى وحدة الزمن الذى نقلت به محتويات هذا المجلد . ويشير إلى ذلك حقيقة أن تواريخ نقل أول وآخر محتويات المجلد ليست فى فترات متباعدة وأن درجة حفظ الأوراق ولون الحبر متساوية . ومن هنا أخذ التاريخان ١٥١٤ ، ١٥٣٥ ، على أنها تاريخان دقيقان بصفة عامة . على هذا يكون لدينا الأساس لافتراض أن زمن نقل الأرجوزة هو النصف الأول من القرن ١٦ .

وقد تم نقل الأراجيز الثلاثة بعد موت مؤلفها . وتشير إلى هذا عبارات المترجم التى تساق بعد اسم ابن ماجد فى مقدمة نص الأراجيز :

فى الأولى (نغمده الله برحمته - ص ٨٣) فى الثانية (رضى الله عنه - ص ٩٧) وفى الثالثة (رحمه الله - ص ١٠٤ ب) . وهذا يشير فى

الواقع إلى أن المقدمة ظهرت بعد نص الأراجيز الشعرية الأصلية وأن الناقل قام بوضع عنوان وعرض مختصر لمضمون كل منها .

المضمون

إذا كنا عند تحليل الأراجيز قد تناولنا خواصها الخارجية فإن أخذ المضمون في الاعتبار يكشف عن الصورة الداخلية للؤلؤفات الثلاث .

فن الناحية الشكلية الأرجوزة تعنى قصيدة مكتوبة على وزن الرجز وهى فى الواقع هنا تعتبر أولا دلائل الملاحاة فى المحيط الهندى وبأى الوزن الشعرى والقافية فى الصف الثانى . ونفس كلمة « قصيدة » هى كلمة اعتبارية فمثل هذه الصورة التى كتبت بها الأبيات إنما تخدم غرضا عمليا هو تسهيل استدكار المضمون أى المعلومات المتنوعة اللازمة عن الطرق البحرية . وعلى هذا الأساس ينبغى أن تكون النظرة إلى ناحية التحليل الأدبى للأراجيز وإلى تفسير الأخطاء الأسلوبية السالفة وكل ما يتعلق بنقص الصورة أو عدم اكتمالها .

والعنوان الجغرافى لكل من المقطوعتين الأولى والثانية موضح بالتسمية التى اختارها الناقل . فالأولى تعرف « بالسفالية » وفى الجزء السادس منها شرح شروط الإبحار فى مياه الشاطئ الشرقى لأفريقيا . والثانية « المعلقة » ولها علاقة بالهند وجزر الملايو وموانئ جنوب الصين والثالثة مكتوبة تحت اسم استعارى « الثائية » « أرجوزة » على قافية التاء .

ولكن بعد هذا مباشرة إشارة إلى أنها « من جدة إلى عدن » وهى عبارة عن دليل أو وصف لذلك الطريق المائى القصير عبر البحر الأحمر ، وهو ما يمكن أن يكون الدليل البحرى لابن ماجد نفسه المشهور فى عصره بملاح « طريق الحج » .

وعلى هذا النحو تغطى هذه المؤلفات الثلاث فى مجموعها صورة كاملة لحوض المحيط الهندى والجوانب الأساسية المختلفة للملاحة فيه وإلى جانب ذلك فإن هذه المؤلفات تمكنتنا من الحكم على مستوى علم الملاحة عند العرب فى القرن الخامس عشر .

وكما يزيد فى أهمية هذه المؤلفات أن المائة عام الأخيرة لتلك الفترة كانت فى كثير من النواحي ذروة ما بلغه هذا العلم .

وفى عملية الشرح أو التفسير يختلط موضوعان أساسيان . أولاً : الفلك أى شرح موضوع النجوم بالنسبة لآى مكان على شواطئ المحيط الهندى والإشارة إلى العامل النجمى الذى يتحكم فى تحديد الخروج أو عدم الخروج إلى البحر المفتوح ، وبيان الاتجاه الذى يزيد أو ينقص معه هذا العامل . وثانياً : الجغرافيا الطبيعية التى تتضح فى شرح هذه الأماكن نفسها وبيان أى عمق معين مع تحديد أو تثبيت الجزر التى على نفس الطريق ، وكذلك بيان المياه الضحلة والشعب وطبيعة المجرى ، والدوامات واتجاه الرياح فى مختلف أوقات السنة .

أما طريقة شرح الموضوعين فهى غير متكافئة . فإذا كان الموضوع يحدده الأرقام الجافة المتعلقة بوضع النجوم بالنسبة لمجاور معينة فإن الموضوع الثانى يتميز بأكثر من هذا . فعند شرح الأماكن ترد معلومات تتعلق بأخوص الطبيعة للقشرة الأرضية . والمزروعات ، والحيوانات ، والثروات الجافة فى باطن الأرض . وكذلك تساق أسماء الأجيال والحضارات المتعاقبة . وأحياناً ما ترد الأسماء الجغرافية للأماكن بلغتين أحدهما العربية والثانية لغة ذلك المكان . ونجد أن الموضوعين يمتزجان بشكل ملحوظ فى كل صفحة تقريباً بل وأحياناً فى البيت الواحد . ولكن على وجه العموم فمن الناحية البصرية يسيران بموجات متغيرة . فمثلاً فى

القصيدة أو المقطوعة الأولى يمكن قراءة الشرح الفلكي الأساسي في الأجزاء ص ص ٨٣ ب ، ٨٦ ب ، ١٨٨ ، ١٨٩ والنصف الثاني من ٩٠ ب ، ٩١ ب والنصف الأول من ص ٩٢ ب وبعض الأماكن من ص ٩٥ ، ٩٥ ب . أما الأماكن التي تشغلها الجغرافية الطبيعية فالجزء الثاني من القصيدة مخصص لها كله تقريباً دون تجزئة . وفي القصيدة الثانية تتركز المادة الفلكية في ص ٩٧ ب ، ٩٨ ، ٩٩ . وما بقي للجغرافية الطبيعية . وأخيراً في الخريطة أو القصيدة الثالثة لا تحتل الإشارات النجمية مكاناً خاصاً وذلك بسبب حجم القصيدة الصغير نسبياً ، وإنما تساق هذه الإشارات على أنها عوامل مساعدة عند شرح المعلومات الخاصة بالجغرافية الطبيعية .

والجزء الثاني من الأرجوزة الأولى حتى بالإشارات المتكررة عن « الفرنجة » (البرتغاليين) فعلى بضع صفحات يتكرر اسمهم ١٤ مرة ولكن بصرف النظر عن هذا التمايز الخارجي وبصرف النظر أيضاً عن أن أخبار المؤلف في هذا الجزء تعلو أحياناً بالخان مؤثرة فإن الأمر كله تقريباً يتعلق عامة بموضوع الجغرافية الطبيعية . ولأول مرة يذكر الفرنجة عند وصف الرياح الموسمية التي تهب على الشاطئ الشرقي لأفريقيا في منطقة « كلوة » . وعدم معرفتهم بمواعيد هبوب هذه الرياح أدى إلى الخلق الكوارث بسفهم (٩٢ ب / ٤ - ٧) ومن ثم كان من المهم أولاً التعرف على نظام الرياح لهذه المنطقة .

يقول :

زلاوا بها الافرنج علق الموسم	في عيد ميكال بالتوم
قام عليهم موج تلك الروس	في سفاله بقي معكوس
وانقلبت أدغالهم في الماء	السفن فوق الماء ياخاني
غرق يرون بعضهم بعض	وكن عارفا موسم تلك الأرض
ومن الغرب ومن بلاد الفرنجة	يأتى الناس إلى دسفالیه ، طلبا لجمع
النحاس والفضة (٩٣ اس ٩ - ١٠) .	

وهذه الملاحظة تقال كما لو أنها بين قوسين عند وصف «سفالیه»
ومناجها التي كان يملكها اثنان من الأباطرة الأجانب، وبعد هذا مباشرة
يأتى ذكر النيل. وهناك مكان مهم أو كبير لذكر الخصائص الجغرافية
«للفرنجيات»، أى الأملاك المسيحية. وفكرة ابن ماجد هى أن يربط
بين هذه الأملاك وبين حدود روما القديمة التى تمتد من جزر السكانارى
إلى ماوراء القوقاز ومن «سيوطى»، والبندقية «سوق الجميع» عند بر الروم
(ص ٩٣ ب — س ١٥) إلى مدغشقر، ومنها عن طريق الممتلكات
البرتغالية فى الهند إلى الصين (ص ٩٣ س ٢٤ — ٣٤، ص ٩٣ ب، س ٦،
ص ٩٤ ب / س ٢٥ — ٣١). وعند وصف الصحارى بين سفالیه والسودان
تظهر إشارات إلى سفن الفرنجة التى كانت تبحر بحثاً عنها عن الطريق
إلى الهند. وبعد سنتين من الضلال فى البحر المفتوح رجعت هذه السفن
إلى الشاطئ الأفريقى (ص ٩٤ / س ١٢ — ١٥).

وفى الإخبارات عن رحلات الفرنجة — الذين وصلوا إلى الحبشة وأخذوا
معلومات وصفية من كل قادم من بلاد الهند — تقول فى هذه الإخبارات
تنعكس أخبار البحث عن الطريق إلى الشرق (ص ٩٤ ب / س ٣٢ — ٣٤).
وفى هذه الأنباء المأدبة عظمة أتران فكر الإنسان. ولكن أحياناً يتغير هذا
الفكر لدى ابن ماجد: شاهد العيان لوقائع الاستعمار البرتغالى بنظامه
الدخيل على المحيط الهندى الذى أساء إلى الملاحة العربية. فيجد أنه من
الضرورى أن يعبر قنياً عن إحساسه النائر. يقول عن المستعمر البرتغالى:

وجال كاليسكوت خذى الفايده	لعام تسماية وستة زايده
وباع فيها واشترا وحكا	والسامرى برطله وظلها
وسار فيها مبغض الإسلام	والناس فى خوف واهتمام
وانقطع المحكى عن أرض السامرى	وشد «جردفون» للسافرى
وخبرنى ما حملته الفرنجى	من جانب السودان شط اللجى
وهو الذى قد قهر المغاربة	وأندلس فى حكمه مناسبه

(ص ٩٣ ب، ١ — ٦)

وبعدها على الجنوب تأتي جزر «شربوه»، وهم ثلاث :
أحمرهم يا صاحبي وشيكاً والعاج والعنبر فيها يدركا
(ص ٩٣ ب، س ٣٤ - ٣٥)

وخشب للفرنج قد جاءوها وملكوها بعد أن غازوها
(ص ١٩٤ سطر ٢)

وبعد فترة قصيرة يعود المؤلف إلى أحداث عام ١٥٠٠ / ١٥٠١ م
(ص ١٩٤ س ١٦ - ٢٠) .

وبعد ذا في عام تسماية وست جاءوا الهند ياخاية
واشتروا البيوت ثم سكنوا وصاحبوا وللسوامر سكنوا
والناس تضرب فيهم الظنونا ذا حاكم أو سارق أو مجنونا
ونضرب السكة وسط البندر بندر كاليكوت بين السفر
يا ليت شعري ما يكون منهم والناس معجبين من أمرهم

وهذا الندم المرير للملاح فاسكو دي جاما والتاريخ الذي يشير إليه
شهادة ذات أهمية تاريخية أدبية من الدرجة الأولى . ولا يوجد حتى
الآن أى مصدر آخر يتضمن هذه المعلومات من المصادر التى بنيت عليها
دراسة فاسكو دي جاما وابن ماجد .

هناك فى نهاية كل من الأراجيز الثلاثة يرد لحن خاص يكمل الصورة
العامة للتراث الفكرى عند المؤلف . فهناك الشكوى من هبوط روحه المعنوية
التي يفسرها على ما يبدو بضعف التأثير الإسلامى فى الخارج وهناك أيضاً
الفرحة بمناسبة الوصول بالسلامة إلى الميناء والتفكير فى خطط المستقبل
وها هو يصف ملاقه مختتماً بذلك موضوع الأرجوزة الثانية (ص ١٠٤)
— (س ١٢ - ٢٢) . يقول :

فادخل إليها ظافراً بالبندر	هتيت بالمحصول ثم السفر
في خمسة ويكون أربعة	وثبت الأبحر فيها واسفحه
تأتى لك الناس فييس الناس	لم يعترف قط لهم أساس
يزوج الكافر مصلات	ويأخذ المسلم كافرات
إن قلت كفار فإهم كفرة	أو قلت إسلام فغير مخبرة
عندهم السرقة قد سنوها	ما بينهم فليس ينكروها
ويأكل الكلب لحم المسلم	ما بينهم فليس فيهم عثم
ويشربون الخمر في الأسواق	ولا يصلون على الإطلاق
وينقصون العهد والهدية	يسعوا لها بالرحل والأذية
صنعتهم الكذب والمطال	في المشتري والبيع والأشغال
فاحتذر منهم كل الحذر	لا تضرين جوهرأ على حجر

وأية فرحة تلك التي يصف بها ابن ماجد الطريق بالبحر الأحمر إلى أحد
موانئه جنوب الجزيرة العربية (١٠٥ ب ص ٨ - ١٢) :

واجر على الشعر بليل فإن يكن
نهار فتحو الطائر ، اجر ، عارتي ،
إذا كنت في بعض الجلاب ، ومركب
خفيفاً ولم تحش على الرأس طخله
وزدّه على نجم الثريا وشرقها
لشمسان وادخل نحو بندر عارتي
فإنعم تلك الدار اربط حولها
بأمن فإنعم هنا ومسرقي

ويتلو ذلك لحن ديني في ثلاث أبيات يدخل ضمن الأرجوزة الثالثة .

وفي هذا الجزء يدوى شعور كبير بالثقة بالنفس عند الاقتراب من

المراسى الإسلامية . وربما أنها صدى ذكرياته عن والده الذى قاد السفن
عشرات السنين فى هذه المياه بل وفى نفس ميناء « عارة » .

وينظر ابن ماجد إلى السيطرة البرتغالية على الطرق فى المحيط الهندى
على أنها حالة حرب وهو يريد أن يحيا « لزمان الصلح » حتى يمكن أن يحقق
أماله وأحلامه المباركة (ص ١٠١ - ١٢) .

وإن كلماته — وهو الرجل الذى يعيش عقده السابع من حياته المتنقلة
— لتنبئ عن طاقة داخلية ضخمة وحب كبير لمهنته الشاقة وعمل حثي
لا يعرف الهدوء . وفى الواقع لقد لاحظنا من قائمة أسماء الأعمال الأدبية —
العلمية لابن ماجد التى دخلت إلى العلم ، سمة أفقه الثقافى عامة . وفى مجال
المعرفة المتخصصة نجد قوة دافعة للعلم لا تعرف الكلل فهو بنفسه يجمع
وينقح ، وينقد المواد اللازمة لخرائطه لوصف الطرق البحرية سواء كانت
هذه المواد من المعلومات الإيرانية القديمة راه نامك أو من معلومات
المعاصرين باللغات المختلفة أو من تجاربه الخاصة الغنية . وهذا بالتالى
يجرنا إلى الكلام عن موضوع المصادر .

المصادر

إن تراث ابن ماجد الأدبى غير متجانس حتى فى هذا الجزء الصغير من
الأراجيز بأبياتها « ١١٣٢ » . وحقيقة أن أسماء المصادر هنا لا تعد وإشارة
واحدة إلى كمال الدين محمد بن موسى الدميرى (٧٤٥/١٢٤٤ - ٨٠٨/١٤٠٥)
مؤلف مقالات عن حياة الحيوان (١٢٦) .

ولكن كثيراً من المعلومات ترد بإشارات مبثورة مثل : « عن ذوى
التجارب » ، أو التجريب ص ٨٩ ب/س ٩ ، ٩٢ ا/س ٣ ، ٩٣ ا/س ٦ ، ٩٣ ب
س ٣٠ ، ٩٤ ا/س ١٠) و « أنقل ذا عن خابر قد جربه » ، ص ٩٣ ا سطر ٢٣

و لم أعتبر إلا بعلم واكد، ص ٩٤ س ٢٤، و قيل لي ، ص ٩٤ سطر ٢٦، قد قال لي عنها حكيم خابر ، ، لكن سمعنا خبراً ظريفاً من خابر ذى فطنة ظريفاً، ص ٩٥ سطر ١٣ - ١٤ . و ممن يصدق هذا الخبر ، ص ٩٥ سطر ١٨، ولما سمعنا علم هذا البر زال بهذا الشك قصرنا ندرى . ص ٩٥ سطر ٢٣ وهذه المصادر ، مع عدم تحددتها ، تعتبر أمينة فبعض فقرات النصوص التي اختارها ابن ماجد تبين أنه أدخل عليها تصحيحات وتعديلات . فعند وصف جزيرة « واسيف » بين قنبلو ومنبسه ، يشير إلى أن مستنقعاتها أو وسخها يمتد حتى آخر الجنوب بينما الغرباء الزوج يؤكدون أنها تمتد إلى الشمال فقط . يقول ابن ماجد في ص ٨٩ س ٣ معلقاً على هذا :

وذاك عندي خطأ يا صاح اسمع لو صنى تلتقى الصلاح
ويقول في مكان آخر أن فوق « منفية » (جزر جنوب زنجبار) تشكل
مجموعة الدب الأكبر من ١٢ أصبعاً عند الأفق ومن فرقين اثنين . وأن
الفرقد الكبير يبعد بمقدار ٢٦ أصبع والصغير بمقدار ٣٦ أصبع . ورأيه هذا
يذكره بشدة :

قد كذبوا الزوج فيما قالوا لأنه أزيد وذا محال
والفرقين الكبير أصبعين ونصف قد جربته بالعين
ص ١٩٠ سطر ١٤ - ١٩

وعدم تحديد ابن ماجد الأسماء المقتبس عنها يجعل منها مجموعة من المصادر الخارجية التي تتضمن حكايات عن الملاحين الربابنة السالفين وعن أضافاته في المهنة وكذلك عن إشارات « الراه نامك » الإيرانية . وهذه الأخيرة ورد ذكرها في النص مباشرة مرة واحدة عند مناقشة عدم ثبات المسيمات الجغرافية المشار إليها تحت هذه الدرجة أو تلك وقد عـُـبر في أواخر الأرجوزة الأولى بقوله : « ما أنا من يخفى العلوم » .

(ثم مطالعها على السواحل) ما أنا من يخفى العلوم (ياخل)
 لو تخلف أسماؤها في الحاوية ما يلزم العبرة إلا الراوية
 وقد يقال عشرة بمـدور والدير ، فافهم مثلى واعتبر ،
 وقد يقال مهـايم وتـانه ويقال نهـراوى^(١) خـد يـانه
 وقد يكون سبعة بسـاجر^(٢) ثم ظفـار^(٣) اقمـم أشـاير
 فهكذا في الأبحر المجهولة ميز بالافكار ما أقوله
 كذلك في رهمانج المقدما ليس له اليوم تبادرا العلما
 قد حرفت أسماؤها وغيرت وخيرها للشخص ما قد شهرت
 (ص ٢٢١ - ٣٠) .

وتحت هذا النوع من المصادر الخارجية تدرج المعلومات المباشرة.
 أو غيرها التي حصل عليها من البرتغاليين : « وزادنا بعلنا الفرنجي »
 (ص ٩٣ أسطر ٢٤) ، و « أسنده أيضاً لنا الأفرنج » (ص ٩٤ ب س ١٣) ،
 و « قالت الفرنج » (ص ٩٥ ب سطر ٢٩) .

أما بالنسبة لمعلوماته عن المحيط الهندي في نفس بدايه القرن السادس
 عشر فقد كان الملاح العربي مضطراً أو في حاجة إلى الاعتماد أيضاً على
 المعلومات البرتغالية وهي حقيقة واضحة بالطبع . ففي ذلك الوقت كان
 تغلغل الغرب من جميع النواحي إلى هذا الحوض يسير بذلك الوضوح وتلك
 السرعة لدرجة أن ابن ماجد أحياناً ما يرجع القارىء بصراحة إلى المعلومات
 الغربية : خذ منهم ذاك النهج بالإيضاح . (ص ٩٥ أسطر ٦) .

وسوف تزداد بهذه الطرق من الفرنج معرفة وحذق

(ص ٩٦ - س ١٥)

وهكذا فإن هذا الرجل (أى ابن ماجد) بتوضيحه للغرب الطريق إلى

(٢) جبل في الجزيرة العربية

(١) مدينة في الهند

(٣) ميناء عربى على المحيط الهندى

الشرق قد وضع في يد الأول قصب السبق في الجغرافية البحرية بعد طول حفاظ دقيق عليها من النأى .

وإلى جانب هذه المصادر الخارجية توجد مصادر أخرى داخلية ونعنى بها مؤلفات ابن ماجد نفسه وخبرته وتجاربه المهنية الطويلة . وهو يذكر في عداد النوع الأول (المؤلفات) « حاوية الاختصار في أصول علم البحار ، وهى من أوائل إنتاجه (٨٦٦ / ١٤٦٢ م) - كما لو أنه يضعها فى آخر أعماله فى عمره الأربعين (١٩٥ س ٢٤) وبذكر أيضا مؤلفا آخر لا يذكر اسمه « ذكرتهم فى غير تلك الأرجوزة ص ١٨٦ السطر الأول) .

أما المصادر المتعلقة بتجاربه الخاصة فلها مكان أوسع (أنظر ص ٨٣ ب س : ١٥٠ ، ٨٤ ب س : ٢ ، ١٨٦ س : ٧ ، ٩٠ ب : ١٨ ، ٩٨ ب : ١١) لاسيما إشارته إلى كيفية استعمال البوصلة (١٨٩ سطر ٢٠) . ويؤكد ابن ماجد أكثر من مرة أن الظواهر التى يصفها قد رآها وخبرها بنفسه .

وتتفوق المصادر العملية لديه على المصادر النظرية وهذا بالطبع شىء ضرورى وأصولى بالنسبة لخرايط الملاحة البحرية . فنقطة البداية لديه هى معلوماته التى ثبتت لديه بعمله الطويل فى البحر إذا أن الارشادات النظرية معها بلغت من الكمال لا يمكن أن تقوم مقام تجارب الملاحة الخاصة .

ومع احترامه الشديد للبحارة السالفين وكبار معاصريه فى استعماله لخرايطهم إلا أنه كان دائما يضطر لمراجعتها ومطابقة مدى معلوماتها على واقع التغيرات البحرية مدخلا عليها التعديلات الضرورية . ولهذا لسبب ونعنى به عدم الوثوق فى المعلومات المعروفة ، تجد ابن ماجد فى كل صفحة من المخطوط يلح على القارىء باصرار أن يراجع بتجاربه الخاصة صحة ما يحصله من المعلومات .

ومن تحليل طرقه الكثيرة المتعددة فى توجيه الكلام للقارىء . يتضح

أن من بين ٩٠ نوعا منها تحتل أعماله النشيطة ثلثا كاملا . والواقع إن أى مجال فى الأدب العربى لم يصل إلى هذه الدرجة من فهم القارىء نفسه ولدوره وعلاقته النقدية نحو نفسه ونحو العالم ولا يوجد هناك مثل لهذا الأساس المعقول . وتكتمل خصائص مضمون الخرائط الثلاث بعد كلمات ابن ماجد فى نهاية الملحمة الأولى يقول فيها : (ص ٩٦ أسطر ٧ - ١١٦) .

ذكرت منها ما يليق فى السفر	وكم جزاير غير هذا وخطر
لولم يكن إلا جزيرات النسا	يحكم عليها ساقط قد خسا
وجزر طير الرخ والقصار	من نسل آدم كن بذاك دارى
ثم الكسور فى القياس والدير	أو سعت أو جزيرة بلايسر
أو شدة الماء ومرسا ترسه	قالفحل من دبر فيه نفسه
وقف وخفف إن أخذت فيها	خلاص ياربان ثم أصفها
ثم تأمله بذى السفالية	تهديك فى الجنوب خذ مقالبه
لا غيرها فى هذا الطريق	أعم منها علم بالتحقيق
وسوف تزداد بهذه الطرق	من الفرنج معرفة وحذق
فى آخر الزمان بالتكرار	طرف جديدة فتحوأكن دارى

وبهذا الاعتراف الواضح المعبر ينتهى النص . أما الأبيات الأربعة عشرة (١٧ - ٣٠) الأخيرة فترجع إلى الناقل الذى يتحدث فيها باختصار عن دوره فى إنتاج هذا المخطوط .
(بهذا الخصوص أنظر بداية الجزء الخاص باللغة) .

قواعد وأصول الطابع

إن معنى أن المخطوط فريد لا يلغى بصفة عامة إمكانية وجود نسخة أخرى وإنما ينصرف هذا المعنى إلى مجرد تحديد عدد النسخ الموجودة تحت تصرف العلم . ولعل هذا يفسر قلقى عندما بدأت العمل على نشر هذه

النسخة . وكثيراً ما يكون تحت تصرف الباحث أكثر من مخطوطين ربما مخطوطين على الأقل . وهذا يمكنه من الوصول إلى الصورة الموحدة النقدية للنص الذى يعده للنشر . أما هذا المخطوط الالينجرادى لابن ماجد فهو فريد . من هنا كانت ظروف العمل عليه صعبة .

وقد تحسن هذا الوضع بعض الشيء بوجود الصور الفوتوغرافية المخطوط الباريى ٢٢٩٢ حيث يوجد ١٩ إنتاجاً آخر لابن ماجد بعضها يشبه هذا المخطوط فى شكله وطابعه . وبالطبع لم تستطع هذه الأجزاء المتشابهة أن تحمل إحداها محل الأخرى . إلا أن وحدة الشكل والطابع اقتضت وحدة اللغة والمصطلحات الخاصة إلى حد ما بما ساعد على فهم المضمون عامة ومطابقة المسميات الفنية على كل حال وقد لعبت الصور الفوتوغرافية دور كبير اكان من الممكن أن يكون بالغ الأثر لو أنها كانت عملاً مكتملاً فى صورة طبعة نقدية وليست مجرد صورة فوتوغرافية لأصل المخطوط الفرسى . ومع أن هذا والحق يقال قد أدخل فى اعتباره مواد دمهقية مماثلة إلا أنه غير مترجم وتنقصه التعليقات وأقصد بذلك المواد التى لها علاقة بنص ابن ماجد ومشبعة بالمصطلحات الفنية المعقدة ولها أهمية كبرى .

والمجموعة الثانية التى استخدمت فى هذا العمل عبارة عن الكتب الموسوعية ذات الطابع العام . وهذه تشمل (١) بعض مؤلفات فيران نفسه بعنوان "Relations" وهى عبارة عن تلخيص المعلومات الجغرافية عن الجزء الشرقى للمحيط الهندى للدولفين المسلمين من القرن الثامن حتى القرن الثامن عشر .

٢ — مؤلفات بتر توماشيك بعنوان "Die topographischen capital" وهى عظمىة القيمة لا يعضونها فحسب بل وبالثلاثين خريطة للطرق

البحرية الملحقة بهذه الطبعة التى تعطى الصورة الجغرافية الطبيعية للمحيط الهندى فى القرن ١٥ .

٣ - مؤلف « يوسف كمال ، بعنوان : "Monumenta Cartographica" وهو يعطى مادة للتجديد الجغرافى للاتجاهات فى شواطئ شرق أفريقيا (١٨٢) .

٤ - أطلس د ك . ميللر ، "Mappae Arabicae" . وفيه توضح على الخرائط أحيانا مجموعة الأسماء الجغرافية .

٥ - دائرة المعارف الإسلامية ، ومختلف أنواع المعاجم من كل بمقدار ، أدى فى النهاية إلى عون كبير فى مطابقة النص .

أما المجموعة الثالثة فتتعلق بالمؤلفات الجزئية التى تمس موضوعنا مسأ غير مباشر وقد تمر بها عابراً فى بعض الأحيان وفى أحيان أخرى تحل الإشارات الصريحة محل الإشارات التلميحية . ولكن مع العمل والمثابرة تجمع رصيد قيم من المعلومات البالغة الأهمية .

أما المجموعة الرابعة فتتعلق بكل المؤلفات غير الشرقية والمصادر الاستشارية الخاصة بشرح بعض الأجزاء التفصيلية . وبيان تفصيل المجموعتين الأخيرتين مذكور فى قائمة المراجع فى نهاية الكتاب وهو يعتبر دليلاً مرجعياً للطبعة ويفتح البحث الطريق أمام المقالات التى تهدف لا إلى عرض المعلومات فحسب بل وإلى نظام عرض هذه المعلومات الموضوعية اليوم تحت تصرف العلم وتتعلق بأن ماجد بصفه خاصة وعلم الملاحة العربية بصفة عامة .

ولعل مثل هذا العرض للمؤلفات الثلاثة يعتبر مطولاً . إلا أن ذلك ضرورة يحتمها من ناحية عدم وجود معلومات عن أحمد بن ماجد فى الكتب

الروسية . ومن ناحية أخرى غموض موضوع الملاحاة العربية فى هذه الكتب . إن بعض الإشارات الجزئية عن حقائق أعمال ابن ماجد توجد بصفة عامة وتوجد أيضاً فى المحاضرات المتخصصة عن التاريخ الجغرافى العربى التى كان يلقها كراتشكوفسكى فى جامعة ليننجراد منذ سنة ١٩٣٣ . وفى كتابيه « الجغرافيون والرحالة العرب » (١٩٣٧) ، ومع المخطوطات العربية ، (١٩٤٢) الفصل الخاص « بأراجيز أحمد بن ماجد » ، توجد خصائص أعمال ابن ماجد باختصار ، وملخصاً للمعلول الأولية عن فريدة مخطوط أراجيزه وفى سنة ١٩٤١ ظهرت فى ليننجراد الترجمة الروسية للأجزاء الجغرافية من المجلد الثانى لكتاب العالم الفرنسى كارادى فوبغنوان (Les penseurs de l'Islam) « مفكرو الإسلام » .

ومن الثلاثة الفصول المترجمة يتعلق الفصل الثانى بالملاحاة العربية وتصوراتها الأساسية . وفى هذا الفصل خصص جزء كبير لابن ماجد ولكن لا جديد فيه . وبهذا ينتهى ما فى الكتب الروسية . ومفهوم أن مثل هذا الوضع قد أدى إلى كبر حجم الملاحظات الخاصة بالبحث والدراسة التحليلية . وجزء كبير من هذه الدراسة مخصص للتحليل الكامل للمخطوط المنشور وهذا التحليل على ما أظن ، يؤكد أن هذا المخطوط يستحق الاهتمام فعلاً .

وكما سبق القول فإن مخطوط الأراجيز الثلاث (لابن ماجد) قد نشر بناء على نسخة فريدة وحيدة . ولكن مع استخدام المصادر المناظرة إلى جانب دراسة الكتب المتخصصة قد سمح بتصحيح قراءة بعض الكلمات المنفردة وتجميع ملاحظات البحث .

وهذه الترجمة التى كان من الممكن أن تكون على صورة أحسن ، هى محاولة أولى باللغة الروسية لنقل الأمثلة والنماذج الفنية للكتب البحرية العربية . ومن الجائز أن يكون لها نفع لفهم موضوع الملاحاة الشرقية وفائدة أيضاً للدراسات النقدية المقبلة فى هذا المجال .

والجزء الأخير من الكتاب وهو الخاص بالملاحق - عبارة عن مجموعة
مسلسلة من الارشادات والرسومات والجداول (ملحق ١ - ١٣) مرتبة
بالنظام التالى (١) :

- ١ - د المرشد الجغرافى البحرى، ٢ - خريطة صورة بحر الهند والبنادر
وتعتبر تسكاملة توضيحية للأراجيز الثلاث وفيها يذكر أهم الأسماء الجغرافية.
- ٣ - الدليل الفلسكى ويتبعه الملاحق الخمسة التالية : ٤ - ٣٢ خنا من دائرة
الرياح العربية ٥- حاشية لدائرة الرياح العربية (أما كن وجودها وتفسيرها
وفهم تقسيمات الأخنان) ، ٦ - د أوجه القمر ال ٢٨ ، (أسمائها ومعناها
وأوضاعها) ، ٧ - تقسيم أوجه القمر بالعلامات البرجية (علاقتها) ٨ - تواريخ
أوجه القمر ٩ - دليل المفردات الخاصة بالملاحق (أسماء الآلات والأجهزة ،
والرياح وأنواع الأسطح البحرية ، والشواطى... الخ) ١٠ - معجم المفردات
المزوعة ذات الطابع العام التى تتطلب شرحا خاصا (الأسماء المذكورة فى
نص المؤلف، وسور القرآن وأشياء أخرى ١١ - د الدليل الأبجدى للقوافى ،
١٢ - دليل الأوزان والعروضية ١٣ - دليل أسماء المتادى .

وتتكمّل الطبعة بقائمة الكتب والمراجع ودليل الرموز والاختصارات .
وأى دليل أو مرشد يعتبر فى نفس الوقت معجما وهى عملية نافعة من
حيث الاختصار وسهولة الاستعمال . وكل تعريف فى المعاجم الموجودة فى
الكتاب متحقق منه بالرجوع إلى مصادر موثوق بها ونادرا ما يقتصر على
مصدر واحد فقط . وقد حاول الباحث أن يوسع إلى أقصى حد ممكن دليل
المصادر والكتب لتتضح قيمة ما بذل فى هذا العمل من جهد . وقد تم بناء خريطة
الطرق والمسالك على أساس المعلومات الجغرافية البحرية والمعاجم ومراجعة
نظائرها فى المحيط ، اشلبى ، والأطلس ، لبينيز - توما شيك وقد عملت
الجداول والرسومات كوسيلة لنشر المعلومات الناقصة فى الكتب الغربية .

(*) تعدل ترتيب هذا النظام كما سبق أن أشرنا فى المقدمة إلى النظام الموجود فى الفهرس

ومن المراجع الأساسية التي يجدر الإشارة إليها هنا وإن كانت ليست المراجع الوحيدة هي : «Unter suchungen» لأيدلر، وكتاب «Introduction Générale» لرينو، وIntroduction لفيران ودي سوسبور. وقد أمكن إيجاد الأوزان العروضية بوضع ثلاثة نماذج فقط لأن الخرائط الأساسية مكتوبة بوزن واحد وليست إنتاجا شعريا بل جغرافيا وخصص جزء مستقل للكلمات المنادى وهي عملية غير مألوفة في الكتب وربما تضجر منها القارىء - وهو نتيجة لضخامة كمية الأمثلة من هذا النوع في النص وهو تأكيد لإحدى الصفات المميزة للغة ابن ماجد .

ويمكن القول أن الملاحظات تعكس تعدد جوانب مضمون الأراجيز الثلاثة وهو ما يشير إلى أنه حتى في المجالات المتخصصة من الأدب العربي هناك سرعة تغيير الموضوع الأصلي وهي سمة خاصة بالمؤلفات الموسوعة . ونخرج من هذا بأن الأدب العربي يتميز بتعدد جوانبه .

هذه هي طريقة بحث الأراجيز الثلاثة الفريدة وإعدادها للنشر . والأساس هنا هو النص العربي وما أثاره من أسئلة وتشككات وفروض وتخمينات . وكانت أهم فترة بعد كتابة مسودة هذا العمل المنضى عندما ظهرت المعاجم والجداول التي أمكن تحسينها مع الزمن . ومن هذه المعلومات وضع أساس العمل على الترجمة وأخيرا فإن حصيلة كل هذه المعلومات الجزئية تدخل في صياغة وتنظيم التعميمات وهو ما يتكلم عنه لا الإنتاج فحسب بل وناقوده أيضاً ومخصص لهذا مكان في المقدمة أو المفاتة الافتتاحية .

وهناك بعض الخروج عن القواعد المعروفة في كتابة الكلمات والأسماء العربية باللغة الروسية، وكذلك ترتيب الكلمات في المعجم يختلف عن الطريقة المتبعة عادة، والأساس هنا هو أن توضع نفس الكلمة لا أصلها. فمثلا اعتدل توضع تحت حرف الألف وليس ه العين ، و ه مرسي ، أو ه معلم ، تحت

« الميم » وليس تحت « رسو » أو « علم » . وهكذا وأداة التعريف « ال » لا تحتسب بالطبع .

ويجب ألا ننسى المعلومات التاريخية لابن ماجد وهو أول من عرفناه من المؤلفين الحقيقيين لحرائط الملاحة العربية . ويعتبر هذا العمل أول محاولة لنشر إنتاج ابن ماجد في العالم الأوربي . وقد فكر فيران منذ ربع قرن مضى في تحقيق أربعة مخطوطات أخرى لابن ماجد وسليمان المهرى لكن العمل توقف بعد الجزء الثاني ولم تكتمل الفسكرة .

وهذه الطبعة الحالية بصفة عامة تحاول لأول مرة باللغة الروسية أن ترسم صورة للنماذج الخاصة بالملاحة البحرية عند العرب . يمكن تعزيز ذلك إلى حد ما بأن العمل على هذا الموضوع لم ينته بعد ومازالت بعض التفاصيل الخاصة غير محددة ومازالت أيضاً بعض الاقتراحات العامة في انتظار الجواب النهائي لها . وربما كانت هذه المسائل دافعة الأبحاث في المستقبل . وإن هذه الطبعة قد أخذت في اعتبارها تذليل الصعوبات لآى مجهود مقبل . بل إن ذلك كان من أهم أهدافها .

الملاحظات

(١) أفصل ترجمة هذا التعبير لا بالمعنى العادى وهو كاتب، أى محترف الكتابة وإنما بمعنى كاتب أى محترف الأدب إذ أن سيدى على كان مشهوراً بهذه الناحية أكثر من شهرته كأمرير للبحر . ويوضح رينو «Reinaud» معناه بقوله : إنه كان موهوباً بقوة الإرادة وكان يبحث عن المعرفة ، أينما وجدت ، (جغرافية أبو الفداء ، I Géographie d'Aboulfeda, CLXV-CLXVI ص

(٢) نصفها الغربى عبارة عن تصوير المحيط الأطلس وقاراته وقد اكتشفه خليل إيتيم إلدنم مدير المتحف القومى بأنقرة ودرسه عالم المانى يدعى ، كيهلى ، P. Kahle : Die Verschollene Columbus-karte von 1948 in einer türkischen weltkarte von 1513).

أنظر صورة الخريطة مصحوبة بمقالة توضيحية ليوسف أ كشورا

Akeurà : Piri Reis haritasi hakkında izahname (Türk Tarihi Arastirma Kurumu Yayinlarindan, No. I)

(بالتركية ، والألمانية ، والفرنسية) Istanbul, 1935

وأنظر أيضاً : كراتشكوتسكى : خريطة كولومبس لأمريكا : مجهود تركى

(٣) Extracts from the Mohit, that is the Ocean, a Turkish work on navigation in the Indian Seas, translated by : J. Hammer-Purgstall (JASB 1834, pp. 545-553 : 1936, pp. 441-468 ; 1837, pp. 805-812 : 1838, pp. 767-780 : 1839, pp. 823-830.

(٤) Del Muhit a descrizione dei mari della Indie dell'ammi-raglio turco Sidi 'Al detto Kiâtib-Rum. Per Luigi Bonelli, RRAI., 1894, pp. 545-553 : 1836, pp. 441-468 : 1937, pp. 805-812 ; 1838, pp. 767-780 : 1839, pp. 823-830.

(٥) Zum, Indischen Ocean des Seidi Ali Bemerkungen zu einer Uebersetzung aus dem Türkischen von der M. Bitner. WZKM, X. Wein 1896, pp. 21-36.

Die topographischen capitel des indischen seespiegels (٦)
Mohit übersetzt von dr. M. Bitner, mit einer einleitung sowie
mit 30 Tafeln versehen von dr. W. Tomaschek wein 1897.

Relations de voyages et textes géographiques arabes, (٧)
persans et turks relatifs à l'Extrême-Orient du VIII^e au XVIII^e
siècles. Par G. Ferrand, I-II, Paris, 1913-1914.

(٨) المرجع السابق ص ٤٨٥ . في الواقع كما أشار إلى ذلك فيران هناك فرق
تسم سنوات إذ أن شلبي استخدم مؤلفين لابن ماجد هما د كتاب الفوائد،
و د حاوية الاختصار ، (مخطوط ٢٢٩٢ و رقم ١ - ٢) .

(٩) أنظر في هذا الصدد :

Gaudefray-Demombynes : Les sources Arabes du Muhit turc
(JA, X^e série, XX, 1912, pp. 547-550).

(١٠) أنظر فيران المرجع السابق ص ٦٦٠ ملاحظه رقم ٢

(١١) أنظر فيران المرجع السابق ص ٤٨٥ ملاحظه رقم ٢

(١٢) على سبيل المثال : انظر مقالة Seidi 'Ali Celebi في

«Introduction à l'astronomie nautique arabe» Paris, 1928, pp. 248-255.

Le Pilote Arabe de Vasco da Gama et les instructions (١٣)
nautiques arabes au XV^e siècle (AG, VII, 1922, pp. 289-307).

Instructions nautiques et routiers Arabes et Portugais (١٤)
des XV^e et XVI^e siècles : I. Le Pilote des mers de l'Inde, de la
Chine et de l'Indonésie. Par Sihab ad-din Ahmad bin Majid.
Paris, 1921-1923.

عند يركمان خطأ مطبعي في 231 p. Supplementband II, 1932.

Les instructions nautiques de Sulayman Al-Mahri (١٥)
(XVI^e siècle). AG, 1923, pp. 298-312.

L'élément Persan dans les textes nautiques arabes de (١٦)
XV^e et XVI^e siècles. (JA, IV-VI, 1924, pp. 193-257).

Shihâb al-din Ahmed b. Madjid. Encyclopédie de l'Islam. (١٧)
IV, Leyde, Paris, 1927.

Instruction à l'astronomie nautique arabe. Paris, 1928. (١٨)

Le Mu'allim, pp. 177-183 ; Ibn Majid, pp. 183-237 ; (١٩)

Sulayman Al-Mahri, pp. 237-248.

Commentaires des instructions nautiques de Ibn Majid (٢٠)

et Sulayman Al-Mahri. Par L. de Saussure, pp. 129-175.

(٢١) الرمز الحالي ٩٩٢ — B

(٢٢) الرقم بحسب فهرس المتحف الآسيوي السابق هو Nos. 804-810

Codicum Manuscriptorum arabicorum, persicorum, et (٢٣)
torcicorum, qui in Academiae Imperialis Scientiarum Museo
Asiatico asservantur.

كتابة على غلاف كتاب

Fraehn -- Catalogus MM. Orient. Mus. Asiat. Historia Literaria
7 LXIII.

(٢٤) نقطة الجيم غير موجودة في نص المخطوط

(٢٥) اعتبر دفرين ، خطأ أن هذا البيت هو الأخير ولكن إلى جانب ص ٩٦

يوجد بيتان آخران هما :

صلى الإله في مساء وسحر على النبي المصطفى خير البشر

مادارات النعوش بالأقطاب واهتدت الزنوج بالسحاب

وبعدهما تأتي كلمة د تم ، (تمت) . وإلى جانب هذا فإن في البيت

المترجم على أنه الأخير يجب قراءة الكلمة د النبي ، وليست د النبي .

(٢٦) في الواقع يجب قراءة هذا البيت كما يلي :

نبيا سما فوق البراق لربه نبي الهدى المدفون في أرض طيبتي .

(٢٧) في وصف دفرين ، يختلط عد أوراق المخطوط بالكتب بمعنى أن ورقة واحدة

من مخطوط تساوى صفحتي كتاب وقد كان الحال عندئذ كما هو في الوقت

الحاضر أن كل ورقة من مخطوط تساوى صفحة من كتاب .

(٢٨) الخطوة التالية للتدليل على ذلك هي وجود هذه المؤلفات مدرجة في مصنف

آخر من المصنفات الداخلة في مجموعة المخطوط .

(٢٩) (أنظر ملاحظة ٢٣) Index Librorum Manuscriptorum... p. 43.

وربما اشترك في تأليف هذا الفهرس الابن ب. ك. قرين الذي كان
خازنا للمتحف الاسيوى من عام ١٨٤٦ — ١٨٨٢ (مجموعة ذكرى
الأكاديمى و. ب. دروزن ، موسكو — لينجراد ، ١٩٤٧ ص ١٢٩) .

(٣٠) د مع المخطوطات العربية ، الطبعة الأولى ١٩٤٥ — ص ص ٥٠ — ٥٤ و ط
ثانية ١٩٤٦ ص ص ٧٥ — ٧٩ .

(٣١) أنظر مثلاً : الجغرافيون والرحالة العرب د فى ، أخبار الجمعية الجغرافية
(السوفيتية) ١٩٣٧ . ٥ / ٦٩ ص ص ٧٣٨ - ٧٦٥ .

(٣٢) الثقافة العربية فى أسبانيا . موسكو — لينجراد ١٩٢٧ ص ٦ .
(٣٣) بكل الأرقام الستة المترجمة عند بروكلمان :

Brockelmann, Geschichte der arabischen Literatur [GAL], II,
Berlin, 1902, p. 179.

تحت رقم ٦ (مخطوط ٢٢٩٢ رقم ٦ وما يليه) ترد أشعار أخرى متنوعة،
وظهور اسم ابن ماجد فى GAL بالإضافة إلى قائمة أعماله الأساسية
فى عشرة أعوام حتى بداية دواسة فيران لمخطوط ٢٢٩٢ يمكن تفسيره بأن
بروكلمان استخدم فهرس المكتبة القومية بباريس .

Bibliothèque Nationale, Catalogue des manuscrits arabes, par
M. Le baron de Slane, Paris, 1883-1895.

وواضع هذا الفهرس وهو دى سلين ، يتحدث فيما يتحدث عن المقالة
الرئيسية للمخطوط ٢٢٩٢ فيقول فى ص ٤٠١ : د لغة المقالة فيها
إطناب والمصطلحات الفنية مركزة لا يفهمها إلا بحارة المحيط الهندى ، .

(١٢٣) «Bom Piloto mouvo guzarate. per name Malemo-
canaqua» (D. de Goes, chronica do felicissimo hei D. Manuel,
Lisboa, 1566, fol. 34 recto, cap. XXXVIII. O Malemocanaqua
cm. note 47).

وبخصوص الأصل الهندى لابن ماجد فقد ظهر هذا القول فى الكتب
المتأخرة :

J. Strandes, «Die Portugiesenzeit von Deutsch-und English-
Ostafrica» Berlin, 1899, p. 31.

• بقيادة ملاح هندي استوَجِر في مالندي يدعى مالميو كاناكا أوكانا ، عبرت.
سفينة فاسكودي جاما الخليج العربيض للمحيط الهندي ووصلت إلى الشاطئ.
الهندي وفي ٢٠ مايو كانت راسية والمرساة ، في ميناء كاليكوت .

و W. Ingrams : «Zanzibar, its history and

في كتابه : (London, 1931, p. 97).

يقول : • هنا (في مالندي) حصل (أى فاسكودي جاما) على ملاح اسمه كانا
من جوزرات وبه أبحر إلى كاليكوت ، .

(٣٤) • سيراف ، عاصمة المحيط الهندي في القرون الأولى لعصرنا وكانت مركز
الملاحة والتجارة الإيرانية وفيها ، وسط الثراء الفاحش المتجمع من تجارة
(النرانزيت المروور) وفي المنازل ذات الادوار الكثيرة عاش رجال
البحر . (L'élément Persan, pp. 250-257) ومنذ نهاية القرن
العاشر نظراً لازوال الذي حدث سنة ٩٧٨ بدأت • سيراف ، تفقد
هيبتها . وتزداد أهمية عمان .

(٣٥) عرفت الصين جزيرة العرب منذ القرن السابع باسم تا - شى وربما جاءت
من هنا كلمة ، تاجيك ، (وهو شعب إسلامي في وسط آسيا بالاتحاد
السوفييتي . المترجم) . وفي القرن التاسع كان لإمبراطور الصين يعرف
عند العرب باسم ، بغبور ، أو • فغفور ، . وهذا المصطلح يمثل ترجمة
من الإيرانية لكلمة تيان - تزي الصينية أى ابن السماء ، أنظر :

L'élément Persan, p. 243.

في القرن التاسع وصلت كثير من السفن الصينية للملاحة في المحيط إلى
سيراف حيث كانت تأخذ ما يزيد عن حوانها من البضائع المجلوبة من البصرة
ومن هنا يمكن تفسير وجود تسميتين للخليج في ذلك الوقت : خليج فارس
والخليج الصيني . (الرحالة ص ٢١) .

(٣٦) في L. De Saussure : L'origine, p. 118

يرد الوضع التالي عن الملاحة في المحيط الهندي :

١ - اعتدال هبوب الرياح الموسمية ساعد على الاتصال بين الهند
والبحر الأحمر .

٢ — نقاء الجو في المحيط الهندي مكن بصفة رئيسية من استخدام علامات النجوم السماوية .

٣ — علم الفلك (البيزنطي، واليوناني واليوناني العربي) تجمع له معلومات أساسية ومهمة للملاحة في هذا الحوض .

٤ — وجود العديد من المراكز الحضارية ووفرة منتجات التبادل ساعد من القدم على خلق حركة تجارية نشطة في حوض المحيط الهندي .

(٢٧) آريا سوررا (أو آريا نورا) : جاتاكا — مالا (جاتاكا سوباراجا)
أى دليل البحر ، مكتوب في الهند بالسانسكريتية وترجم في بداية العصر
المسيحي إلى الصينية سنة ٣٣٤ . مترجم عن :

Sylvain Levi : Pour l'histoire du Ramayana. JA. I-II, 1918.
pp. 86-87.

أنظر أيضاً مقالة : س ف أولدنبرج في : د المعجم الموسوعي الجديد،
(روى) ص ٥٧

(٣٨) كتاب عجائب الهند (Livre des merveilles de l'Inde)

نص عربي مع ملاحظات لـ «Van der Lieth» ترجمة Marcel Devic
٢٢٠ ص Leyde, 1883-1886

(٣٩) أى معلم البحر وقد دخلت هذه الكلمة العربية (معلم) في كل لغات حوض
المحيط الهندي أنظر : Introduction : — ص ص 182-183 .

(٤٠) اقتباس Introduction ص ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(٤١) ناخذنا من الإيرانية د ناوخدا ، بنفس المعنى في د السندباد ، ص ٤٣ .
ترجم هذه الكلمة رب أو سيد السفينة . وكلمة معلم في العربية تستخدم
عادة بمعنى د ربان ، والجمع ربابين أو ربابيه .

(٤٢) أكبر نامه ، (طبعة انجليزية) .

The Aini-Akbari, by Abul Fazl Allami, ed. by H. Blochmann,
Calcutta, 1872-1877.

(٤٣) في تعبير « ليث البحر » ، تلاعب لفظي في كلمة « ليث » ، فعندما يلقب ابن ماجد بأنه رابع الليوث أي « الأسود » ، أو رابع شخص بني « ليث » ، يعني مثل ليث بن كهلان ، وأهل من الممتع أن نشير إلى أنه عند ذكر « سيدنا علي ابن أبي طالب » ، (مخطوط ٢٢٩٢ رقم ١٣) يستخدم كلمة « أسد » ، بدلا من « ليث » .

(٤٤) ألفونس ألبوكرك (في خطاب لملك البرتغال في أول إبريل ١٥١٢) .
« توماس بو » ، (في مجلة السفينة في ١٢ يولييه ١٦١٥) ورحالة آخرون
يشيرون إلى خرائط محلية للبحر الهندي استمر وجودها حتى القرن السابع عشر .

(٤٥) João da Barros, Decada Primeira de Asia, des feitos que os Portuguezes fizeram no descobrimento e conquista dos mares e terras do Oriente. طبعة ثانية, Lisboa 1553, طبعة أولى e novamente dado a Luz e offerecida ao senhor João Bristows. Lisboa, MDCCLII. « فيران نقلا عن « باروش » ،

في « Introduction à l'Astronomie nautique arabe »
ص ص ١٩٢ — ١٩٤ ، استطاع أن يستخدم معلوماته عن « رينو »
الذي ترجمها في :

Introduction Générale à la Géographie des Orientaux
CCLXXXI).

وأنظر قائمة المراجع بخصوص باروش .

(٤٦) Damião da Goes : Chronica do felicissimo Rei D. Manuel. Lisboa, 1566.

أنظر قائمة المراجع « للإسم » ، بخصوص معلومات ممتعة عن هذا الكتاب

(٤٧) Fernão Lopez da Castanheda : Historia do descobrimento e conquista da India pelos Portuguezes. Lisboa, 1554.

ماليوكانا لدى المؤلفين البرتغاليين يختلط بابن ماجد .

(٤٨) سبق رحلة فاسكو دي جاما استيلاء البرتغاليين على « سيوطي » ، (١٤١٥)
وفتح رأس الرجاء الصالح (١٤٨٦) وذلك بفضل « بارتولوميو دياز » ، الذي

أصبح فيما بعد ربان أحد سفن فاسكودى جاما. وقد خرج أسطول دى جاما من لشبونة في ٨ يولية ١٤٩٧ وفى نوفمبر من نفس العام عبر رأس الرجاء الصالح . ووصل إلى مالندى في ٢٤ ابريل ١٤٩٨ وفى ٢٠ مايو وصلت البعثة إلى كاليكوت حيث بقيت حتى ١٠ ديسمبر وبعدها عادت بنفس الطريق حتى وصلت إلى لشبونة في سبتمبر ١٤٩٩ .

L. Camoes. Os Lusíadas (1572)

(٤٩)

الجزء الخامس من الأناشود الرابعة والترجمة الروسية لهذا الجزء من مراجعة الأستاذ م . م . رندى . وقد قام بها د ب . كردى فو، فى كتابه الجغرافيا العربية، لينتجرا د ١٩٤١ ص ٢٩ . وهناك أيضا الأصل البرتغالى) . وفى هذه النغمة الرزينة وصف لحظة الوصول إلى كاليكوت : « ملاح من مالندى خرج به العجب عن نفسه : يقول لو أن فى لا يتخذه عني . أمامنا ذى دولة كاليكوت !! هاهى الهند التى تنشدنا وبطموحك كن قانعا إذا كان هناك الوحيد أن تكون هنا ، ا . :

«Lusíados» :

سانت بطرسبورج ١٨٩٧ ص ١٠٨ (الترجمة الروسية) :
لويس كامويس — شاعر البرتغال الفحل فى القرن السادس عشر
(١٥٢٥ — ١٥٨٠) .

(٥٠) من الممتع هنا قصة عودة دأمير البحر، عبر ميناء أسباني (Amari, Storia dei musulmani della Sicilia).

وبدلا من الكلمة العربية دأمير البحر، توجد المندى أو (الامندى) التى تبدو كأنها غير عربية .

(٥١) الاحتمال الأرجح الذى يجب اعتباره هو ما ورد فى المصادر البرتغالية من أن ابن ماجد وافق على أن يكون ملاح فاسكودى جاما نظير أجر كبير . إلى جانب رغبته فى ألا يفسد علاقته بالرجل الذى أوصى به وهو ملك مالندى . ومن النصوص الممتعة التى ترجمها دفيران ، (على أساس تسجيلات سفن البعثة ١٤٩٨) نص أصلى من ابن ماجد لفاسكودى جاما قبل الانبحار إلى الهند يقول فيه : « لا تقربوا من شط هذا الميناء (يقصد الساحل الشرقى لأفريقيا فى اتجاه الشمال من مالندى) . اخرجوا إلى البحر المفتوح فهناك تقربون من شط الهند . ثم ميلوا تحت حماية الأمواج — (Le Pilot, 290) والعبارة الأخيرة تفهم على ما يبدو على أساس أن

الموجات الكبيرة في الأماكن بعيدة الغور هي أقل خطرا من الصخور
والشعبان في المياه الضحلة

(٥٢) قطب الدين النهر والى (١٥١١ — ١٥٨٢) . البرق الباني في الفتح العثماني
(مخطوط ١٦٥٠ — المكتبة القومية بباريس) . تقرّظ عن ابن ماجد
نشره أيضا داود لوبيز (D. Lopez) في كتابه :

«Extractos da historia da conquista do Yaman pelos Othmanos».
(Lisboã, 1892).

بمناسبة المؤتمر العاشر للمستشرقين :

وبالمثل ، في الملحمة التاريخية الوطنية لسكاميوس مُتغنّى بحاس في أول
استقباله للبرتغاليين من جانب أبناء كاليكوت . وعند وصف إقامتهم الطويلة
في الهند تتحول النغمة بصورة حزينة وفي النهاية تقرّر : «التخلص من
البرتغاليين بواسطة حديد الموت أو إحراق سفنهم حتى لا يرجع أحد منهم
إلى ميناء تاخو — وهذه كانت الرغبة الوحيدة للبربر بل لانهم تمنوا لو أن
ملوك د لوزياتان ، كانوا على غير علم مطلقا بالطريق إلى الهند ، .
(١٤١ ص Luisiadas) والمقالة الموجودة في «الموسوعة السوفيتية
الكبرى» ، — بعد ذكر أن فاسكو دى جاما حصل في المندى على ملاح
عربى منك تحت قيادته عبر المحيط الهندى — تشير إلى أن كاليكوت كانت
مركزا للتجارة الهندية العربية ووجد بها ممثلون عن لشبونة استطاعوا ان
يجبروا ممثلى فينا وجنوه فى القرن ١٥ على التخلي لهم عن تجارتهم مع عرب
المشرق وأجبروا الاحتمكارات التجارية العربية على الهبوط إلى درجة
الصفر وتحكموا فى الطرق المائية فى بحار الشرق . وتولدت علاقات عدائية
نحو البرتغاليين من جانب تجار البحر من العرب الذين شعروا بكل الخطر
فى وجودهم فى الهند ووقف ضدهم أيضا أعيان كاليكوت والسكان المحليون .
الموسوعة السوفيتية الكبرى ح ٩ ص ٦٢ مقالة ه لبيديفا) .

(٥٣) فى « المحيط ، وهناك أيضا فى «Le Pilote» ص ٢٩٣ .

(٥٤) هذا المخطوط (٢٧٠ × ١٨٠ — ١٨١ ورقة) بتاريخ ٩٨٤ / ١٥٧٦
(١٨٨) اشترته المكتبة القومية سنة ١٨٦٠ من سليمان الحريري وهو
مدرس اللغات الشرقية الحية Ecole des langues orientales vivantes
ولأول مرة يشار إليه في الفهرس الذي وضعه دى سلون :
Catalogue des Manuscrits Arabes, Paris, 1883-1893
وبعد ذلك في الفهرس الاصلى عند بروكلمان فى الجزء الثانى
GAL, Berlin, 1902 الذى اكشفه دديونين ، ودجودفرى ، سنة ١٩١٢
وفى سنة ١٩٢٣ طبع فى صورة فوتوغرافية فى الجزء الاول :
«Instructions nautiques et routiers Arabes et Portugais des XV^e
et XVI^e siècles».
وفى سنة ١٩٢٠ ظهر مخطوط مماثل فى دمشق (٢٧٨ × ٩٨ — ١٧٣
ورقة بتاريخ ١٠٠٦ / ١٥٩٢ . انظر : معلومات عنه فى د سعيد الكرم .
Revue de l'Académie Arabe de Damas.
(فبراير ١٩٢١ ص ٢٣ — ٣٥ — نفائس الآثار)

- (٥٥) ابن ماجد ص ص ٢١٩ — ٢٢٠ .
(٥٦) فائدة حسب مصطلحات ابن ماجد = باب (من أبواب الكتاب) .
(٥٧) هنا تستخدم كلمة أسد لا د لث ، — انظر ملاحظة ٤٣
(٥٨) يعتبر د فيران ، هذا بخصوص رأى القائل بأن ابن ماجد شيعى المذهب .
(٢١٣ ص Ibn Majid .
(٥٩) توجد فى النص فى صورة الجمع (هراميز) [وأيضاً فى أرجوة ليمنجراد
الاولى ص ٨٣ ا س ٥] .
(٦٠) سيدى على شلبى فى د المحيط ، الفصل العاشر : د اغزار أو أرقاق معناها
تحديد حالة خروجك إلى البحر أو توجهك إلى الميناء .
ترجمة : Hammer Purgstall JASB, X, 1837, p. 805
(٦١) الضفدع (بطن الحوت اليماني = ظالم القرد = النمر = ساكب الماء)
الحادية عشرة من علامات البرج .

(٦٢) هذا المخطوط (٢١٥ × ١٥٠ - ١٨٧ ص حسب العجوز ، فوند ، رقم ٦٠٩ بتاريخ ١٥١١/٩١٧) ذكر سنة ١٨٣٢ ج . أسكاري ، هامير - بورشتال ورينو ، وبونللي ، وييتنر وتوماشيك ، على التوالي لم يعطوا ذلك أهمية وبالعوا في دور المحيط ، لسيدى على شلبي . حتى في سنة ١٨٩٧ اعترف توماشيك بجودة تجميع مادة المحيط ، فقال : د لعله الأثر الوحيد النادر من الكتب البحرية الشرقية . وقد حازت تجميع مادته خلال المائة عام الأخيرة من العصور الوسطى على أهمية كبرى . (Capitel, p. 6) وفي حدود دراسة المخطوطين ٢٢٩٢ ، ٢٥٥٩ فإن محتويات المادة العربية الأصلية هي مصادر المحيط ، وللأخير أهمية مستقلة (بهذا الخصوص أنظر مثلاً : رأى ، فيران ، المعارض :
Fernand : Seidi Ali Celebi 254-255.
صورة المخطوط ٢٥٥٩ التي اكتشفت في جدة .

(٦٣) أنظر عنه بصفة خاصة :

Ferrand : Les instructions nautiques de Sulayman al-Mahri (XVI^e siècle), AG, 1923, No. 178, p. 298-312. & Sulayman al-Mahri, Introduction à l'Astronomie nautique Arabe, pp. 237-248. & Sulayman al-Mahri EI, IV, pp. 529-535 . (الطبعة الانجليزية)

(٦٤) أى أصول علم البحر .

(٦٥) أى الكتاب العقيدى للمهدى وببيب ، المهرة ، في جنوب الجزيرة العربية .

(٦٦) على عكس ابن ماجد في عدالموانى من الغرب إلى الشرق كان المهدى يستخدم الاتجاه العكسى . أنظر : Nautiques, p. 303. ملاحظة . ٤ :

(٦٧) أى يهب من الشط الأفريقي وجنوب الجزيرة العربية على هرموز وجوزرات وكسكن وملبار وفي الاتجاه العكسى .

(٦٨) بحسب توضيح شلبي نفسه هذا الفصل ، يجب أن يترجم على أساس المعنى الأول لكلمة المحيط ونفهم على أنها : كتاب محيط ، أى موسوعة بحرية . وأول مترجم للمحيط هامير بورجشتال فهم العنوان على أنه : بحر محيط ، والتزم ذلك في ترجمته .

(٦٩) فى المخطوطين ٢٢٩٢ ، ٢٥٥٩ اشارات إلى الخرائط المفقودة كلية

أنظر : Nautiques, ٣٠٨ ص

(٧٠) يصور د فيران ، المحيط بأنه مجرد تجميع مترجم للأراجز لوصف الطرق العربية البحرية وأحيانا ما يكون أقل مستوى، — (traduction parfois médiocre)

أنظر مثلا : Relations, p. 485, n. 2.

(٧١) وعد د فيران ، أن يبرهن هذا عند ترجمته للمخطوطين ٢٢٩٢ ، ٢٥٥٩

ولكن هذه الترجمة لم تظهر. أنظر ملاحظة القصيدة فى «Nautiques» ص ٣١٢

(٧٢) أنظر مثلا الخرائط المناطرة (Tafeln) فى ملحق (I-XXX) «Capitel»

أكثر الأعمال التصويرية الاستعارية (عن العرب) هى أعمال الخرائط

الجغرافية للبرتغالى دى لا كوسا ، (Juan de la Cosa) ودى كاسترو

(da Castro, 1500) والبرتوكانتينو (Alberto Cantino, 1502)

ونيفولا دى كانيريو (Niccolo di Canerio, 1503) حتى لإصلاح

Pulgada أو Polegada الذى تستخدمه الخرائط البرتغالية

(باللاتينية Pollex) هو مجرد ترجمة للكلمة العربية ، اصبع ، .

ومن الكلمات الأوربية المستعارة من ألفاظ البحر العربية كلمة د أمير

البحر ، admiral ودار الصناعة arcenal من (دار صناعة

البحر) و د أنجر ، أو لسكر ، «Anchor» و د جبل ، «cable» و غراب ،

(golabus) و د حرافة ، — (carraca) و د بندر ، bandel

بالبرتغالية) وكلمات أخرى . ومن الاستعارات البحرية التى أخذها

البرتغاليون عن العرب رأس بر (Rasbec) (على الشاطئ الغربى لباب

المنذب) ، و د شجر ، (Sacl) (على الشطر الجنوبى للجزيرة العربية ،

وجوادر «Guadel» (جزر عند شط الحجاز) ، وهكذا فإن الحقائق

التاريخية تتكلم بلسان واضح مبين عن علو الثقافة البحرية عند العرب حتى

ظهور الاستعمار الأوروبى فى الشرق .

(٧٣) الحد الفاصل بين الجزء الشمالى والجنوبى للمحيط الهندى يوجد فى النصف

الغربي لخط مالندي - كاليكوت وهو الخط الذي اتفق أن سارت فيه
البعثة البرتغالية الأولى سنة ١٤٩٨ والجزء الشمالي يمثل منطقة تجمع الرياح
الجنوبية الغربية الشرقية (خريطة ٤ في GAW

(٧٤) في عنوان فصل المخطوط الدرشمي توجد : « شهاب الدنيا والدين »

(٧٥) أنظر ص ١٨٢ / س ٩ فوق وص ١٠٤ ب / س ٣ - ٣ فوق في المخطوط
الليدنجري B-992

(٧٦) اللقب الأخير يوجد أيضا في المخطوط الليدنجري في صورتين « رابع
الثلاثة » (س ١٨٢ / س ٩ فوق ، ص ٩٧ ب / س ٦ - ٧ فوق) و « رابع
اليوث » (ص ١٠٤ ب / س ٣ فوق) .

(٧٧) أى نوح . وفي نفس المخطوط ٢٢٩٢ ص ١٠١ ترد تحت « أبونا الثاني »

(٧٨) هكذا أفضل ترجمة كلمة « البحريات » ، متسقة في المعنى مع سياق الكلام
التالي : « والخلجان وأطراف المحيط . هذا على عكس فيران الذي يقول أنها
« البحريات » ، وهذا في نظري غير ضروري .

(٧٩) في إشارته إلى المسافة الكبيرة بين خرسان وبغداد أراد ابن ماجه أن
يؤكد اتساع دولة المباسمين ولم بشر فيران إلى هذا في ترجمة هذه
الصورة . (L'élément Persan, 199).

(٨٠) يذكر الحديث لا عن حفيد الليث بن كهلان كما يمكن أن يتصور من النص
- وإنما عن حفيد سهل بن أبان الذي يرد اسمه كاملا في ص ٣٨ ب من نص
المخطوط ٣٢٩٢ وهو اسماعيل بن حسن بن سهل بن أبان .

(٨٢) أى في « الراهمانج » (راه نامك فارسية) وبخصوص هذا المصطلح . أنظر
L'élément Persan ص ٢٠٩ - ٢١٥

(٨٣) فى ترجمة د فيران ،

«Ces gens-là sont des compléateurs, mais pas des auteurs originaux».

(٨٤) «طلعوا البحر» أى خرجوا إلى البحر وليس طلع من الطلوع أى الارتفاع

كما ترجمها «فيران» مفترضا أن ابن ماجد كان أمام عينه خريطة عربية حيث

يوجد الجنوب فى أعلاها. أنظر ص ٢٠٠ ملاحظة ١: (L'élément, Persan)

ومن المستبعد أن يكون ابن ماجد وهو الربان العملى، قد استعمل خرائط

عتيقة ممبىة لم يرد لها أى ذكر فى أى مؤلف من مؤلفاته. وفى مكان آخر

يفهم «فيران» تعبير «طلع البحر» على أنه ببساطة «أقلع «naviguer»

(Ibn Majid, ص ٢٢٣ ملاحظة رقم ٥)

(٨٥) «فاستقربوا الطريق وهى مسيرة ثلاثة أشهر من بغداد» فى ترجمة فيران :

«Ils ont raccourci (la durée de) la route, car c'était (avant eux)

un voyage de trois mois en partant de Bagdad».

وهنا صيغة الزمن المستقبل c'était واستخدام avant eux غير ضرورى

لأن مسيرة الثلاثة أشهر قد حدثت فعلا .

(٨٦) «وصاروا يسألون عن كل بر أهله ويؤرخونه» . وكلية «يؤرخون» هنا

لها معنى «الاستمرار» . فى حين يترجمها فيران :

«Ils ont rédigé une relation de leur voyage».

(٨٧) سنة ١٠٠٩/١٠١٠ م .

(٨٨) «دَبَوْ كَرَهْ يَحْتَمَل دَو كَرَا = دَبَرُ كَرُ» (أبو الفداء) أنظر : Relations

ص ٤٠٠ ملاحظة ٤)

(٨٩) أى — بحسب مصطلحات ابن ماجد — البلاد الواقعة إلى الشرق من

رأس كهرى الطرف الجنوبى للهند (Relations, ص ٤٠٠ ملاحظة ٤)

(L'élément Persan) ص ٢٠٠

(٩٠) تتفق مع سنة ١٤٧٥

(٩١) يَرْفَى — جمعها ترفات — ومعناها المعامل الذى يوضع طول الطريق السكلى
'نحن' يلزم عبوره وذلك حتى يمكن تغيير ارتفاعه ونجمة الثريا ، أصبعا
واحد . أى ١٢٧° (Commentaire ص ١٧١ و Note ص ٢٠)
المعنى الخاص لكلمة ، الرحوبات ، غير واضح (ملاحظة ٣ ص ٢٠١
L'élément Persan)

(٩٢) يقصد ، الفصيذة الذهبية ، (مخطوط ٢٢٩٢ رقم ١٦) .

(٩٣) وفى الحقيقة أن الناس كانوا فى الزمان الأول أكثر حزما ولا يركبون
البحر إلا بأهله من شدة الحزم والخوف والحذر من البحر . وفى ترجمة
فيران ، كلمة حزما ، ترد بمعنى 'تعقلا' ، وبعدها يأتى استدراك غير موجود فى
النص العربى . . .

(٩٤) المغناطيس .

(٢٥) ناصر الدين الطوسى (١٢٠١ - ١٢٧٤) عالم فلك مشهور . أنظر عنه :
H. Suter : Die Mathematiker und astronomen der Araber und
ihre werke. Leipzig, 1890. ص ١٤٦

(٩٦) أختان الحقة : أنظر بخصوص هذا المصطلح :

ص ٣١ - ١٢٧ L'élément Persan, pp. 221-222 & L'origine, pp. 31-127

(٩٧) زام جمعها أزوام = ٣ ساعات من الطريق البحرى = ٤ : ميلا .

(٩٨) بيت الابرّة المغناطيسى = الحقة = الديرة)

(٩٩) الظلة وبحرها : جنوب إفريقيا وبحيطبة (ملاحظة ٤ ص ٢٠٣ L'élément

Persan وأيضا : النهر والى : البرق النابى — مخطوط يارس ١٦٥٠ ص ٥٦ .

(١٠٠) أى من الاسكندر المقدونى . بخصوص قصة عن د الحضر ، أنظر قصة
د نظامى ، فى د اسكندرنامه ، عن بحث الاسكندر عن المياه الجارية فى بلاد
الوافوق .

(١٠١) البحر الكبير أى البحر الأحمر .

(١٠٢) حتى في منتصف القرن ١٤ كانت ذكرى ابن ماجد مازالت حية لدرجة أنه في الهند وعلى جزر ملداوا كان هناك منهج عملي في الملاحة يسمى ماجدى كتاب ، وأراجيز الملاحة النينية والمسيرة في البحر قرأها ، الفانج ، . تكريما ، لولى سوريا الشيخ ماجد الذى استطاع أن يقرأ باطن الأرض كما لو كانت كرة في يده . واخترع البوصلة (Burton)

(١٠٣) بحر (القلزم) قلزم العرب أى البحر الأحمر تميزا له عن بحر قلزم العجم أى بحر قزوين (مخطوط ٢٢٩٢ ص ٣٢٦ ص ٥١) وعند الإشارة إليهما معا تستخدم كلمة القلزمان ، (ص ١٣٥ ، ص ١٦٢) وهذه الكلمة الأخيرة لا تستخدم تقريبا في الكتب العربية . واستطاع ابن ماجد أن يستعيرها من شهاب الدين بن فضل الله العمرى (مات سنة ١٣٤١/٧٤٢) الذى يقول في كتاب : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، د في شمال غيلان يوجد بحر القلزم ، [مقتبسة في :

ص ٢٦ ملاحظة ١ L'élément Persan)

(١٠٤) عند الشطر العربى للبحر الأحمر قرب جزيرة دمرى ، توجد حتى الآن صخرة مائية تعرف باسم عرق ماجد ، نسبة إلى اسم أب مؤلفنا

Ibn Majid (ص ٢١)

(١٠٥) تأمرلان حكم البحر بعد اثنين من المسلمين واثنين من الكفار أما المسلمين فهما سليمان بن داود والاسكندر الدورغى والكافرين هما شداد بن عال وناجختصر . . . أولوغ بك كان عالم فلك مشهور ومن أعظم الحكام العرب (مخطوط ٢٢٩٢ ص ٤٣) .

(١٠٦) معلومات أبى الفضل وعلامى في أكبر نامه، عاين أكبرى (ح ١ كتاب ٢ الفصل ٢٦) . مقتبسة في Relations ص ص ٥٤٩ — ٥٠

(١٠٧) مع أن د سندباد ، في ألف ليلة وليلة ، والمقدسى في ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم يتحدثان عن انقاذات رائعه من هلاك السن بفضل خرائط الطرق البحرية الإيرانية القديمة إلا أنه ينبغي إفتراض أن ما كان يهمهما بصورة رئيسية هى الحقيقة نفسها أما مكان وزمان ظهور هذه الخرائط فن الممكن أن يكون قد أخطأ فيها .

(١٠٨) ومن هنا الكلمة البرتغالية balhestilha والفرنسية arbalestrille
أنظر : Note ص ٢٠

(١٠٩) ومن هنا جاءت كلمة «سطر لاب، أى وصف لاب أنظر. Commentaire»
ص ص ١٥٩ - ١٦١

(١١٠) تمثل كلمة «الحقة» ترجمة للكلمة الإيطالية «bussola» وترسم الديرة ، على
دايرها . وأصل «الحقة» ، يرجع إلى الصين حيث وجدت إشارة في القرن ٢٥
قبل الميلاد إلى تقسيم الأفق إلى أربعة أجواء : شتاء = شمال (خيو) ،
وصيف = جنوب (سينج) وخريف = الغرب (ماو) وربيع = شرق
(فانج) . وهذه الأجواء تتفق مع الرموز الحيوانية : السلحفاة ، الطائر
النمر والدراكون . والعقرب المغناطيسى كانت معروفة حتى في زمن
كونفوشيوس (القرن الرابع ق. م) . وينسب إلى القرن الثامن الميلادى
تقسيم السنة النجمية الصينية على الأفق على هيئة «أيام» ، إلى ٣٦٥ ¼ درجة
وفي القرن الحادى عشر كان ربابنة سفن التجارة الصينية ومن بعدها
الملايوية والفارسية والعربية يستخدمون البوصلة في ملاحظتهم الطويلة في
الحيط الهندى (غالبا في كاتون — سومطرة وسيراف) وعند انغلاق السماء

(١١١) كان الملاحون في القرن ١٦ (سليمان المهدي مثلا) على علم بالأربعة وعشرين
تقسما للبوصلة الصينية إلا أنهم كانوا يستخدمون الـ ٣٢ أصبعا التي انتقلت
منهم إلى أوروبا عبر البرتغاليين .

أنظر L'origine (ص ٣٨ - ٣٩ ، ٩٥)

١١٢ يرجع هذا التصور إلى الصين القديمة حيث كانت تسمى العقرب المغناطيسية
بمؤشر الجنوب (نشى — نان) والبوصلة «بآلة توضيح الجنوب» (نشى —
نان — كيو) وكان الجنوب بالنسبة لبلاد الصين نور الشرف والمجد فأياه
كان يتجه قصر الامبراطور وعرشه وعند الغداء كان الامبراطور يجلس
ووجهه في اتجاه الجنوب .

﴿١١٣﴾ أبو بكر ابن عبد الله بن أبي بكر بعلوى العيدروس اليماني توفي ٩٠٩/
١٥٠٣ : شاعر من ذبيدة من جنوب الجزيرة العربية .

﴿١١٤﴾ مثلاً دملعقي ، في مكان تلتقي (ص ٨٥ ب/س ٢٦ ، المعقل في مكان يعقل
(ص ٨٦ ب/س ٢٢) وهكذا .

﴿١١٥﴾ مثل شركوها في مكان شرحها (١٨٤/س ٦) ، اسهما في مكان اسمها
(١٨٦/س ٢١) وهكذا .

﴿١١٦﴾ مثل رأس جمحة في مكان رأس جمجمة (ص ٨٦ ب/س ١٥) والعار في
مكان الازيب (ص ٨٧ ب/س ٧)
﴿١١٧﴾ مثل في كلما في مكان في كل ما .

﴿١١٨﴾ مثل تقربا لفرجى في مكان تغز بالفرجى (ص ٨٣ ب/س ١)
والربابين في مكان الزبانيين (ص ١٨٩/س ٢٠)

﴿١١٩﴾ مثل تراوه (ص ١٨٧/س ٢٨) في مكان براوه وسبح سحوه (ص ٩٥/س ٥)
وشبخ شجوه ص ٩١/س ١٠ وسبح شنجوا (ص ٩١/س ١٣) وشبخ
شنجوه (٩١/س ١٦) في مكان شنج شنجوا

﴿١٢٠﴾ مثلاً دراس مدور ، ليست د رأس مدور ، كما قد يبدو لأول وهلة .
ولما هي رأس مدور (ميناء على الشط الغربى للهند) حيث دور ، في
اللغة السنسكريتية وفاراء أى بلد . وأيضاً المقدس حيث لا توجد نقط على
الشين ويصعب تصور أنها أرض المقدس أى مقدشوه (مقديشيو)

﴿١٢١﴾ مثل شيت في مكان شئت والسحايب في مكان السحائب .

﴿١٢٢﴾ حتا بدل حتى ، علا بدل على والا بدل الى

﴿١٢٣﴾ مثل الى بدل الا

﴿١٢٤﴾ لا ينبغي بالطبع أن نقارنه بحافظ الذى كان يحفظ القرآن كله عن ظهر
قلب فقراءة القرآن أو حفظه يبدأ عادة منذ الطفولة ويدعم بالممارسة
الدينية على مدى الحياة .

(١٢٥) مثل من ٨٢ ب/س ١٦ :

أربع أصابع في قياس واحد . وثلاث أُنصاف فوقهم زوايد
وص ٨/١٨٤

في أول الشرطين والضائق صحيح قياسهم في الآفاق
وص ٢/١٠٠

يحسبون جزر مفردات أطرافهن الكحل مسلووبات
وص ٤/١١٠٢

فإن رأيت الجزر غابوا عنك مل لم يبق منهن سوا قرن جبل
وص ٤/١١٠٥

ترا النسر فيه والذراع محكما لسبع ونصف ليس فيهن . . .
وص ١٥/١١٠٥
مساقتهم زامين والريح طيب . . .

(١٢٦) مثل من ١٨٢ ب/س ٦ فوق :

ذكر قياسات يعرف بهم المعلم التقضان والزبادة
وص ٢/٩٧ - ٣ فوق :

شمطرة وبر السيام وملعة وجاوة وما كان في طريقهم من الجزر والشعبان
ومناظهن وصفتن .

(١٢٧) مثل من ٨٤ ب/س ٥ :

وقس على المعقل والمربع فبن معلومات منك وممن
وص ٤/٢٨٥

والمعقل المذكور والمربع مسيرهم كالجاء أصبع بأصبع
وص ٧/١٨٩

ويبينهم طريق للمسافر للقمر وسعده والجزاير
وص ١٣/١٩٩

عشر جزاير كن بهن دارى

وص ١٩٩/س ١٤ :

فيهم الجزيرة المشهورة

(١٢٨) مثل ص ٨٤/ب/٢ : (عن نجمة البار والجاه) :

احفظن في الغروب ذكرتهم في النظم عن تجريبي
وعن نجمة الفراد و بطن الحوت ص ٨٥/ب/٥ :

وهن ابدال يجر دفون في الغرب والشرق لهم فنون
وعن نجمة السهيل والظلم ص ١٩٨/س ١٤ :
م ستة ورابع فين النفس فسن

(١٢٩) مثل ص ١٩١/س ١٧ :

وجزيرة الحذشان في جنوبها شعب الظهرة

(١٣٠) هذه بعض الأمثلة :

موسمه سبعين (يوما) ص ٨٣/ب/٩ . تلقاية السهيل والظلم
سنة ونصف (أصابع) ص ٨٣/ب/١٣
رايح . معاهيل عشرة (أصابع) ص ٨٥/ب/٩
وأمثلة أخرى .

(١٣١) مثل ص ٨٣/ب/٢

ثم قستا الحوت بالتحقيق مع بطن ذا الحوت يارفيقي
وص ٨٥/ب/١٢

فسن واحرسن كمثل من حرس

وص ١٨٩/س ١٨

هي ماشية بيضاء بندر أزيب والكوس جل الخالق المرتب
وأمثلة أخرى

(١٣٢) مثل عبارات : خد وصاتي ، كن به علم ، مل بلا خفا ، خذ تجريبي

افعل بأوصاتي وخذ بقولي ... وهكذا ..

(١٣٣) مثل (حكوا — مغارب) ص ٩٤ ب/س ٢٣ ، و (بعض — وعظي) ،
ص ٩٥ ب/س ٢٤ ، و (قفاصى — ناس) ص ١١٠٢ ب/س ٦ ، ص ١٠٣ ب/س ١٥
و (قفاصى — باش) ص ١٠٢ ب/س ١٦

(١٣٤) مثل (قياس — باش) ص ٨٣ ب/س ١٧
و (البيناني — التبانى) ص ٨٦ ب/س ١٨ ، (تعرفا — تلقا) ص ١٩١ ب/س ١٣
و (الذى — اهتدى) ص ١٩٣ ب/س ٢٣ و (تأنى — ثلاث) ص ٩٣ ب/س ٢٣
و (يأتى — ثلاث) ص ٩٥ ب/س ٢٦ ، و (زادا — كذا) ص ١١٠٣ ب/س ١٠

(١٣٥) مثل : (اغروب — تجريبي) ص ٨٣ ب/س ١٥ ، ٨٤ ب/س ٢
و (بحرا — بحر) ص ١٨٤ ب/س ٥٠ و (طويل — خليل)
و (أفلاك — زواكى) و (القلب — ربي) ص ٨٤ ب/س ١٨ ، ١٩ ، ٢٠
وأمثلة أخرى .

(١٣٦) مثل : (عنه — منه) ، (منه — عنه) ص ١٩١ ب/س ٢٢
و ص ١٩٣ ب/س ١٦ ، ١٠٠ ب/س ٧٠ ص ١٠٣ ب/س ١١
و أيضا (مصنف — يعرفه) ص ٨٤ ب/س ١٧ و (أعزله — أوله)
ص ١٩١ ب/س ٢٠٠ وهكذا .

(١٣٧) مثل : (خشبه — احسبه) ص ٨٤ ب/س ٢٣
و (سته — نعته) ص ٨٧ ب/س ١٥ ، ص ٩٢ ب/س ٢٣
و (أربعة — أسفعة) ص ١١٠٤ ب/س ١٣ .

(١٣٨) مثل الحمارى (بدل الحمارين) — دارى) ص ٩٧ ب/س ٧ و أشواري
ص ١١٠٢ ب/س ٧ أو (الحمارى — الحمارين) ص ١٨٧ ب/س ٤ .

(١٣٩) مثل (مراء — ماء) و (العقرب — أقرب) و (منها — عنها)
و (صاحب — مغارب) و (تحقيق — طريق) وهكذا .

(١٤٠) مثل (خروجه — ولوجه) ص ٨٣ ب/س ٩
و (خروجهم — ولوجهم) ص ٩٤ ب/س ٦

و(ترام - نباهم) ص ١٠٤ / س ٤

و(تراه - نباه) ص ١٠٤ / س ٥

(١٤١) مثل : (دموني - النعوث) ص ٩٥ / س ٨

و(فأديب - شديد) ص ١٠٢ / س ٤

(١٤٢) مثل (سبعة - سبعة) ص ١٨٦ / س ٥

و(وصف - وصف) ص ١٨٨ / س ٨

و(نحاس - نحاس) ص ٩٤ / س ٢

وهكذا ...

(١٤٣) مثل (خمسین - عشرين) ص ١٩٢ / س ٢٨

و(أربعين - تسعين) ص ٩٨ / س ٩

(١٤٤) مثل (زنج - أفرنج) ص ١٩٤ / س ١٥

و(دنچ دنچ - فينتج) ص ١١٠ / س ١٢ ، ١٠٠ / س ١٦

(١٤٥) مثل (أقرب - العقرب) و (بالهوداني - فهو داني ص ٨٨ / س ٦) .

و(قليل - الأكليل) ص ٩٩ / س ١٩

(١٤٦) مثل : (نحاس وأنحاس) ص ١٩٣ / س ٩

(١٤٧) مثل (ص ١٩٦ / س ٣٠) :

مادارت النعوش بالاقطاب واهتدت الزوج بالسحاب

(١٤٨) مثل في ٨٨ / س ١١ في قوله :

وعن ذا التيرهن سهمين

والتلاعب هنا في كلمة والسهمين ، و التير ، إذ أن كلمة التير ، تعني بالفارسية نفس المعنى العربي (السم) وتعني أيضا اسم نجمة نبات نعش .

(١٤٩) مثل البار - البر والجدي والجودي

(١٥٠) الكلمة الفارسية ديشان ، التي لم يفسر معناها الخاص حتى الآن تستخدم

مرة واحدة في الأراجيز (ص ١١٠٣/س ١٥) .

(١٥١) ص ١٩٤/س ١٢ ، ١٣ :

جازتها في عام تسعماية مراكب الأفرنج ياخاية
تجيز عامين كاملين فيها ومالوا الهند باليقين

(١٥٢) ص ١٨٥/س ٢٧ ، ص ٨٥/س ١ :

واسمه الفرج بغير معجم قال الدميري ذا بلاتوهم
في شرحه المنهاج ياربان سمعنا في كتاب ثاني